مختصر قواعد تدبرية

من كلام رب البرية

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

مختصر قواعد تدبرية

من كلام رب البرية

الطبعة الأولى

1445هـ - 2024م

رقم الإيداع

2024/10268

الترقيم الدولي: I.S.B.N 978-977-744-538-2

الدار العالمية للنشر والتوزيع

ص.ب: ٦١٠ ر.ب: ٢١١١١-٣١ ش الصالحي-محطة مصر - الإسكندرية

محمول: ٠١٠٠٥٤٠٦٤٠٣ ٢+/ ت: ٤٩٧٠٣٧٠ ٢٠٣+/ تلفاكس: ٣٩٠٧٣٠٥ ٢٠٣+

E-mail: alamia_misr@hotmail.com

مختصر قواعد تدبرية

من كلام رب البرية

تأليف

آمال محمد علي

الدار العالمية
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا، الذي له ملك السّموات والأرض وخلق كلّ شيء فقدّره تقديرًا خلق الإنسان من نطفه أمشاج يبتليه فجعله سميعًا بصيرًا ثمّ هداه السّبيل إمّا شاكرًا وإمّا كفورًا. نحمده تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حمدًا كثيرًا، ونعوذ بنور وجهه الكريم من يوم كان شرّه مستطيرًا.

وأشهد ألّا إله إلّا الله شهادة تجعل الظّلمة نورًا، وأشهد أنّ محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبده المرسل مبشّرًا ونذيرًا.

وبعد:

أنزل تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ القرآن الكريم على رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليتحدّى به الخلق أجمعين؛ فكانت آيات وسور القرآن الكريم معجزة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقد عكف علماؤنا على مر العصور على كتاب الله -تعالى- تعلمًا وتعليمًا، وبُنيت عليه كثير من العلوم، من أجلّها علم التدبر، والذي نشرف في هذا الكتاب بتسليط الضوء على بعض قواعده التي جمعناها من كتب علمائنا الأجلاء، وسعينا لتقديمها بأسلوب مختصر يسير، يوافق طلبة العلم ومعلمي القرآن ومتعلميه، وييسر عليهم هذا العلم الجليل.

وقد جاء هذا الكتاب «**مختصر قواعد تدبرية من كلام رب البرية**» تلبية لرغبة بعض معلمات القرآن اللاتي طلبن منهجا في التدبر يتيسر لهن العودة إليه في حلقاتهن، فجمعنا فيه بعض القواعد، مع بيان دلالاتها وعرض تطبيقات عليها من آيات القرآن الكريم،

وأعقبنا ذلك بتدبر سورة الفاتحة كنموذج عملي على منهجية التدبر، واجتهدنا في عرض بعض وجوه الإعجاز البلاغي ودلالات الألفاظ، مقتبسين من درر ما قدم علماؤنا ما يصلح أن يكون منهجا ودليلا لسالكي هذا السبيل، ونسأل الله أن يتقبله بأحسن القبول، وأن يتجاوز عما قد يقع من خطأ أو زلل أو تقصير.

منهجية الكتاب:

١- مقدمة

٢- وجوه إعجاز القرآن

٣- لماذا أتدبّر القرآن؟

٤- صوارف تحول دون التّدبّر.

٥- الأسباب المعينة على التّدبّر.

٦- تعريف التّدبّر وأقوال العلماء فيه وثمراته وخطواته والفرق بينه وبين التّفسير.

٧- تعريف القاعدة والفوائد من دراسه قواعد التدبر.

٨- ثلاثون قاعدة مع التّطبيق على آيات القرآن.

٩- تدبّر فاتحة الكتاب.

المؤلفة

آمال محمد علي

تمهيد

ولكي نؤصل لموضوع التدبر، دعونا نبدأ بسؤال:

- **لماذا نتعامل مع القرآن تعاملًا مخالفًا لتعامل النّبيّ ﷺ؟!**
- **لماذا نقرأ القرآن بطريقة غير الّتي كان يقرأ بها النّبي ﷺ؟!**
- **لماذا نعتني بمبانيه وألفاظه فقط؟**

لقد كان منهجه ﷺ تقديم المعاني على المباني في الأهمّيّة وترتيب التّعليم، وقد عنى صحابة رسول الله ﷺ والتّابعون لهم بالقرآن تلاوة وحفظًا وفهمًا وتدبرًا وعملًا، وعلى ذلك سار السّلف الصّالح؛ ومع ضعف الأمّة في عصورها المتأخّرة تراجع الاهتمام وانحصر حتى اقتصر عند غالب المسلمين على تلاوته وحفظه فقط، ما ترتب عليه ضعف العمل به والتخلق بأخلاقه.

وكما نعلم، فمراتب أخذ القرآن خمسة: الاستماع - التلاوة - الحفظ التدبر - العمل.

نجد كثيرًا من المعاهد والحلقات ودور القرآن تركز على المراتب الثلاثة الأولى دون المرتبتين الأخيرتين، فتجد آلافا من حفظة كتاب الله يتخرجون كل عام، وهذا أمر محمود بلا شك، لكن كم منهم تجد أثر القرآن على قلبه وفعله وقوله وسلوكه؟! ربما القليل، وما ذاك إلا لأننا أغفلنا الغاية التي نزل لأجلها القرآن، ألا وهي التدبر، والتي جاءت صريحة في قوله -تعالى-: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

يقول النّبي ﷺ واصفًا أحوال كثير من المسلمين: «**سيخرج أقوام من أمتي يشربون القرآن كشربهم اللّبن** (وفي رواية: **كشربهم الماء**)» [رواه الطبراني وحسنه الألباني].

قال المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث: «أي يسلقونه بألسنتهم من غير تدبّر لمعانيه ولا تأمّل في أحكامه بل يمرّ على ألسنتهم كما يمرّ اللّبن المشروب عليها بسرعة».

واسمعوا أثرا آخر لعبد الله بن مسعود قال: «لا تهذوا القرآن هذ الشعر ولا تنثروه نثر الدَقَلْ؛ وقِفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب ولا يكون هم أحدكم آخر السورة».

تهذّوا القرآن: أي تقرؤونه بسرعة دون فهم معانيه، والدّقل: التّمر الرّديء.

وكأنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصف حالنا الآن مع القرآن، هل يكون تعاملنا مع القرآن هكذا؟!

هذا القرآن المُعْجز المُبْهر الذي أفحم الخطباء، وأخرص الفصحاء، وأسكت الشّعراء، قارئُه ينتظر الرّحمات ويرتقب البركات، يُبْهِر العقل ويرفع الجهل.

أين تذهبون من قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة:١٦].

وأين تذهبون من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١].

فالمقصود بحقّ تلاوته، هو فهمه وتدبّره والعمل به، وامتثال أمره، واجتناب نهيه.

هذه ليست دعوة لهجر الحفظ والتجويد والتلاوة، فهذا خير عظيم، لكن المطلوب هو الموازنة بين التلاوة والحفظ من جهة والتدبر والعمل من جهة أخرى، وألا نظل محصورين في المراتب الثلاثة الأولى، بل نرتفع وننتفع بهذا الكتاب العظيم.

مراتب أخذ القرآن

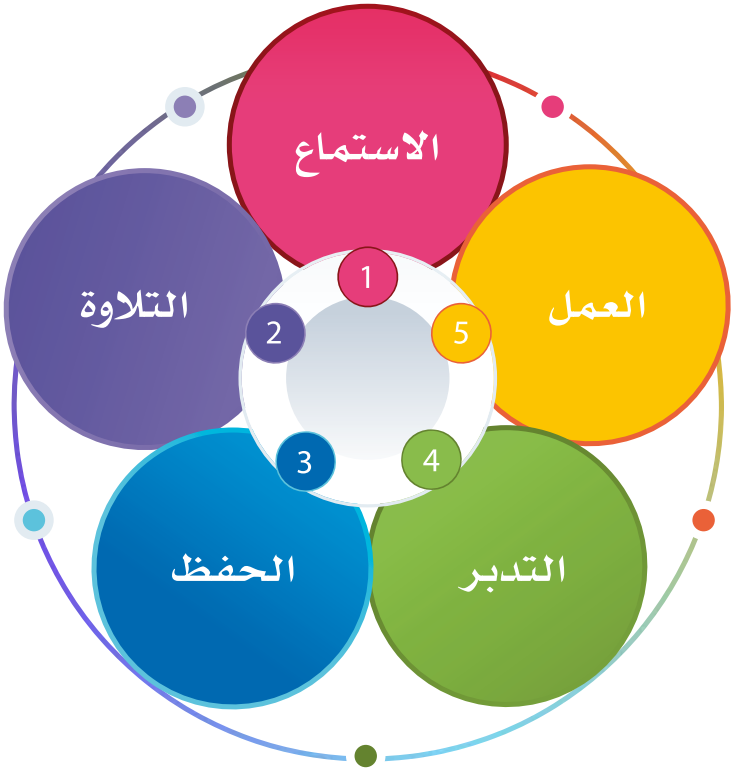

وجوه إعجاز القرآن(١):

الوجه الأول:

احتواؤه على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، السّيوطي (باختصار).

الوجه الثاني:

كونه محفوظًا عن الزّيادة والنّقصان، محروسًا عن التّبديل والتّغيير، على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

الوجه الثالث:

حُسْن تأليفه، والتئام كَلِمِه، وفصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة.

الوجه الرابع:

مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني.

الوجه الخامس:

افتتاح السّور وخواتيمها، وخواتيم السّور كالفواتح في الحسن.

الوجه السادس:

من وجوه إعجازه (مُشْتَبِهات آياته)، وذلك أن القصّة الواحدة ترد في سوَرٍ شتَّى، وفواصل مختلفة بأن يأتي في موضع واحد مقدّمًا، وفي آخر مؤخّرًا، كقوله في سورة البقرة: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، وفي الأعراف: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ﴾ [الأعراف: ١٦١].

الوجه السابع:

وجوه مخاطباته، فقد خاطب النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخاطب الأنبياء، وخاطب العام والخاص، وخاطب الّذين آمنوا، وخاطب النّاس جميعًا، باختلاف أجناسهم وأنواعهم، وجاء بمختلف أنواع الخطاب؛ خطاب مدح، وخطاب ذمّ، وخطاب كرامة وخطاب إهانة، .. إلى غير ذلك.

الوجه الثّامن:

من وجوه إعجازه: ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبيّنة. وفي ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولو الفصاحة.

الوجه التّاسع:

تقسيمه إلى محكم ومتشابه فهو محكم لا يتطرّق النّقصُ إليه والاختلاف، ويشبه بعضُه بعضًا في الحقّ والصّدق والإعجاز.

الوجه العاشر:

من وجوه إعجازه: اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما.

الوجه الحادي عشر:

من وجوه إعجازه: تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع.

الوجه الثاني عشر:

ضرب الأمثال لتقريب المعاني للأذهان وتذكير وموعظة وحثّ وزجر.

قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

الوجه الثالث عشر:

من وجوه إعجازه: احتواؤه على جميع لغات العرب وبعض الألفاظ بلغة غيرهم من الفرس والرّوم والحبشة وغيرهم.

الوجه الرابع عشر:

ما انطوى عليه من الإخبار عن الغيبيات.

الوجه الخامس عشر:

إخباره بأحوال القرون السّالفة والأمم البائدة.

الوجه السادس عشر:

تيسير حفظه وفهمه وتدبره والعمل بما فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر: ٢٢].

الوجه السابع عشر:

إيجازه في آية وإطنابه في أخرى، وهما من أعظم أنواع البلاغة.

الوجه الثامن عشر:

وقوع البدائع البليغة فيه.

الوجه التاسع عشر:

احتواؤه على الخبر والإنشاء.

الوجه العشرون:

اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلّة.

وجوه إعجاز القرآن الكريم

علوم ومعارف	الحفظ من الزيادة والنقصان	حسن تأليفه وفصاحته وبلاغته	مناسبة الآيات والسور
حسن الفواتح والخواتيم	متشابه آياته	تنوع الخطاب	الإجمال والتبين
المحكم والمتشابه	اختلاف الألفاظ في الحروف وكيفيتها	التقديم والتأخير	ضرب الأمثال
اللغة: لغة العرب وغيرهم	الإخبار عن الغيبيات	القصص	تيسير فهمه، تدبره والعمل به
الإيجاز والإطناب	البدائع البليغة	الخبر والإنشاء	تنوع البراهين والأدلة

مقدمة عن التدبر

سنسعى في هذه المقدمة للإجابة على بعض الأسئلة، مثل:

لماذا أتدبر القرآن؟ وما هو التدبر وما حكمه؟ وما أقوال العلماء فيه؛ وما هي درجاته وما الفرق بينه وبين التفسير؟

أولًا- ما تعريف التدبر؟

التّدبر بشكل عام هو النّظر في عواقب الأمور وما تؤول إليه.

وقد عرّف الدكتور عقيل الشمري التدبر لغةً وشرعًا فقال:

١- التّدبر في اللغة:

مصدر (تَدَبَّر)، وأصلها يدل على آخر الشيء وخلفه، ودبر كل شيء عِقَبَهُ ومُؤَخره، ومن ذلك قول الله في سورة ق: ﴿وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾. أدبار: أي أواخر الصّلوات.

٢- التّدبر في المعنى الشّرعي:

تنوّعت تعريفات أهل العلم:

معنى التّدبّر	صاحب القول	المرجع
تأمل معاني القرآن وتَبَصُّر ما فيه	الزّمخشري رَحِمَهُ ٱللَّهُ	تفسير الكشاف ١/ ٥٤٦
هو التفكر فيه وفي معانيه	القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	الجامع لأحكام القرآن ٥/ ٢٩٠
هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه وجمع الفكر على تدبره وتعقله	ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ	مدارج السالكين ١/ ٤٥١
هو التأمل في معانيه وتحديق الفكر فيه وفي مبادئه وعواقبه ولوازم ذلك	الشّيخ السّعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ	تفسير السعدي، ص ١٩٣
النظر إلى ما وراء الألفاظ من المعاني والعبر والمقاصد، الذي يثمر العلوم النافعة والأعمال الزاكية.	الشيخ خالد السّبت حَفِظَهُ ٱللَّهُ	الخلاصة في تدبّر القرآن الكريم، ص ١٣.

ثانيًا- لماذا أتدبّر القرآن؟

١- امتثالًا لأمر الله عَزَّوَجَلَّ:

لأنّ ربّ العالمين أمرنا بتدبّر القرآن فالعلّة من نزول القرآن هو تدبّره والعمل بما فيه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وهو فرض وواجب على كل مسلّم والقرآن نزل حتّى نعمل بما فيه.

قال ابن كثير عن الآية الكريمة: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤]: هذا أمر صريح بالتّدبّر والأمر للوجوب.

وقال الشّوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ أيضًا عن هذه الآية: (دلّت على وجوب التّدبّر).

وقال ابن عثيمين: (إنه فرض لأنّ العمل بالقرآن فرض ولا يتمّ العمل به إلا بتدبّره، وما لا يَقُم الفرض إلا به فهو فرض).

قال بعض العلماء: كل ما هو فرض، فتدبره فرض، وكل ما هو من فضائل الأعمال والحثّ وتزكيّة النّفس، فهو مندوب ومستحبّ.

٢- للحصول على بركة القرآن وهدايته ونوره وبشائره:

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

٣- حاجة القلب للتدبر:

ففي القلب حاجة وفاقة واحتياج لا يسدّها إلا ذكر الله والتّلذّذ بخطابه، والقلب فيه وحشة لا تُزول إلّا بالأنس بكتاب الله، وفيه خوف لا يأمنه إلا السّكون بما بشّر الله به عباده في كتابه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

قال ابن عبّاس: المقصود بفضل الله وبرحمته القرآن والإيمان.

٤- لأن الله ذمّ من ترك تدبر القرآن ولم يتأثر به:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام: ٢٥]

هذا ذمّ؛ هل تريد أن تكون منهم؟!

نعوذ بالله.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة: ٧٨]

٥- أتدبّر القرآن حتّى أحصل على الأجر:

فكلّ من يتدبّر القرآن له الأجر، بإذن الله، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يقبل منّا وأن يوفّقنا لهذا.

لماذا أتدبر؟

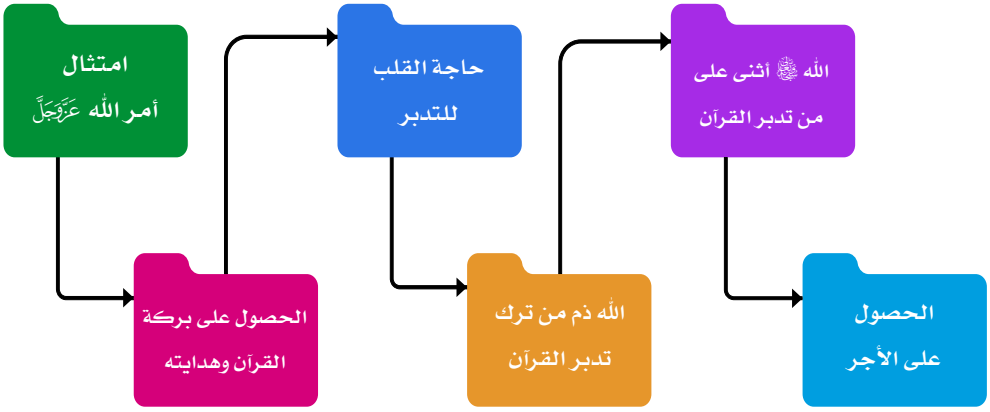

ثالثًا- ما هي الصوارف عن تدبّر القرآن؟

١- ترك التدبر بِحُجة التّورع عن القول في كلام الله بغير علم وهذا صارف من صوارف الشيطان عن تدبر القرآن، سماه الإمام السّنيدي التورع البارد.

والردّ عليه بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧]، كيف ييسره الله تعالى لك وييسر تلاوته وفهمه وحفظه ويحثك على التدبر، وتقول أخاف أن أتَقَوَّل على الله بغير علم؟

لا يكون التدبر بالتقول على الله -تعالى- حاشا وكلا، بل يكون بالعودة لأقوال العلماء في كتب التفسير المعتبرة، مثل تفسير الطّبري وتفسير ابن كثير وتفسير السّعدي وغيرها، وكل يتدبر بحسب ما آتاه الله من علم، ووفق ضوابط التدبر، فلا تحرم نفسك من التدبر، ولو بقدر يسير، ولا تدعن الشيطان يصرفك عن تدبر كتاب ربك بمثل هذا القول.

٢- انشغال القلب وشرود الذّهن:

من هذه الصّوارف أيضًا شرود الذهن وانشغال القلب بإتمام السّورة أو الآية دون فهم ولا اتّعاظ ولا عبرة ولا عمل.

٣- **غفلة القلب وتعلّقه بالشّهوات** نعوذ بالله من أمراض القلوب والإصرار على الذّنوب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٤- **قصر الهمّة على كثرة القراءة فقط دون التدبر:**

هنا القارئ أخذ بالأحاديث الّتي تحثّ على كثرة التّلاوة وترك وهجر الآيات الّتي تحثّ على التّدبّر.

٥- **قَصْرُ تلاوة القرآن على أحوال خاصّة:** عند المرض، أو في العزاء، أو المناسبات، أو عند المصيبة، أو غير ذلك.

٦- **عدم الإحاطة والتعمق في فهم اللغة العربية ودلالات الألفاظ وشيوع العامّيّة في كلام الكثير.**

٧- **عدم تحكيم السّياق القرآني للدّلالة على الألفاظ.**

أي النظر في الآية مجردة عما قبلها وما بعدها، وهذا غير صحيح، وإنما يجب الرّجوع إلى سياق الآيات، (ما قبلها وما بعدها).

٨- **إغفال النّظرة الشمولية للقرآن ومقاصده:**

وهي إثبات الوحدانية لله، وإثبات النبوة والرسالات، وإثبات البعث والجزاء؛ فلابد أن يكون التدبر من هذا المنطلق.

٩- **الانشغال بالمبهمات الّتي ليس من ورائها طائل ولا يتوقف عليها عمل:**

مثل الانشغال بالأعداد والأسماء والأماكن في القرآن، وغير ذلك.

١٠- التعلل بأن التدبر للعلماء فقط:

الأمر بالتدبر عام للجميع، ولا يقتصر على العلماء، فالغاية من التدبر معرفة المطلوب من الآية وتطبيقه في أقوالنا وأفعالنا وحياتنا، وهذا مطلوب من كل مسلم، كل بحسب معرفته واستطاعته، لن يكون تدبر العالم كتدبر غيره، فكلما ازداد التبحر في علوم القرآن واللغة أثمر التدبر دررا، لكن هذا لا يعني أن يتركه غير العلماء، بل كل يتدبر وفق ما أوتي من علم، ويستعين بكتب العلماء، والله يفيض على من يشاء.

- **هل نحن معذورون بكل هذه الصّوارف ؟**
- **كلا، هذه الصّوارف لا يُعذر بها صاحبها.**

صوارف التدبر

حُجّة التورع	انشغال القلب وشرود الذهن	غفلة القلب وتعلقه بالشهوات
قصر الهمة على كثرة القراءة دون التدبر	قَصْرُ تلاوة القرآن على أحوال خاصة	عدم الإحاطة والعمق في فهم اللغة العربية ودلالات الألفاظ وشيوع العامية في كلام الكثير
عدم تحكيم السياق القرآني للدلالة على الألفاظ	عدم النظرة الشمولية للقرآن ولمقاصده	الانشغال بالمبهمات التي ليس لها طائل ولا يتوقف عليها عمل

لعلّ أحدًا يسأل: **هل من الممكن أن أستعين ببعض الأسباب التي تعين على التّدبّر بعد فضل الله والاستعانة به؟**

الجواب: نعم.

رابعًا- ما الأسباب المعينة على التدبر؟

١- الاستعانة بالله.

٢- إخلاص العمل لله.

٣- الدعاء، كأن تقول: اللهم فهمني، اللّهم علّمني.

٤- تعظيم كلام الله وحبّه؛ لأنّه ليس من كلام البشر، هذا التعظيم سيقودك حتما إلى تدبره.

٥- قيام الليل، ففيه عدة أسباب، في الليل خلوة، والإخلاص، وغياب عن أنظار الناس، وفيه صلاة وقراءة للقرآن سرا وجهرًا، وفيه النّزول الإلهي الذي يليق بجلال الله.

٦- اختيار الوقت والمكان والمقدار المناسب للتدبر.

٧- التّدرّج في التّدبّر.

٨- ترديد الآية، وتكريرها مرّات ومرّات، ثم تثير تساؤلات حول الآية، لماذا قدم هنا؟ لماذا أَخَّرَ؟ سل نفسك إذا مررت بصفات المتقين: هل أنا منهم؟ هل أنا من المنافقين؟ لماذا ذكر هنا اسم الرّحمن الرّحيم، وهناك العزيز الغفور؟ ما علاقة أسماء الله الحسنى بالحكم المذكور في الآية؟ لماذا يأتيني احترازات في القرآن؟

٩- القراءة في كتب التفاسير.

١٠- العلم بعظم أجر التدبر، والحصول على بركة القرآن وسلامة التلاوة.

وقد أشار الدكتور عقيل سالم الشمري في كتابه «قواعد تدبر القرآن وتطبيقات على قصار المفصل» بعض الأسباب المعينة على تدبر القرآن، منها:

١١- حضور القلب:

والمراد: أن يكون يقظ القلب منتبها، غير ساهٍ ولا غافل، وبذلك يستجمع قلبه لإدراك الآية، وفقهها والنظر فيها، والتأمل في معانيها، وعرضها على حاله وسلوكه.

وقد استشهد ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]

فقال: «فَتَأمل مَا تَحت هَذهِ الألفاظ من كنوز الْعلم وَكَيف تفتح مراعاتها للْعَبد أبواب الْعلم وَالْهدى وَكَيف ينغلق بَاب الْعلم عَنهُ من إهمالها وَعدم مراعاتها، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَمر عباده أن يتدبروا آياته المتلوة المسموعة والمرئية المشهودة بِمَا تكون تذكرة لمن

كَانَ لَهُ قلب فإنَّ من عُدِمَ الْقلب الواعي عَن الله لم ينْتَفع بأي آيَة تمر عَلَيْهِ، وَلَكن صاحب الْقلب لَا ينْتَفع بِقَلْبِه إلا بأمرين أحدهما أن يحضرهُ ويشهده لما يلقى إليه، فَإِن كَانَ غَائِبًا عَنهُ مُسَافِرًا فِي الأماني والشهوات والخيالات لَا ينْتَفع بِهِ فَإِذَا أَحْضَرَهُ وَأَشْهَدَهُ لم ينْتَفع إلا بأن يلقى سَمعه ويصغي بكليته إلى ما يوعظ بِهِ ويرشد إليه».

١٢- فهم معاني الآيات:

التدبر فرع عن معرفة المعنى وفهمه، كما قال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنه محالٌ أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: «اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا معرفةَ من القِيل والبيان والكلام» - إلا على معنى الأمر بأن يفهمَه ويفقّهَه، ثم يتدبَّره ويعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ آمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل. كما محالٌ أن يقال لبعض أصناف الأمم الذين لا يعقلون كلامَ العرب ولا يفهمونه»[١].

وبناء على ذلك، فالتدبر يختلف باختلاف أفهام الناس حول الآية، فمن عرف أدنى المعنى يختلف عمن تعمق بعلوم الآلة، وأدرك أسرار اللفظ القرآني، وبالجملة فالمراد تقرير أن التدبر فرع عن فهم المعنى ولا يمكن بدونه.

١٣- سلامة طريقة اَلتَّفَكُّرِ:

التّدبر يقوم على التأمل واَلتَّفَكُّرِ في الآيات؛ فكلما كان التفكير سليمًا صحيحًا قائمًا على فهم للمعنى كان التدبر سليمًا، فمن يجعل القرآن لا يتناسب مع الزمن المعاصر، أو أنه خاص بفترة ماضية، وأصحاب الأهواء كالقدرية والخوارج والمرجئة والمعتزلة والرافضة والمناهج المنحرفة تكون نتائج تدبرهم خاطئة، إذ إنها تقوم على طريقة خاطئة في اَلتَّفَكُّرِ، وكثيرًا ما يلجأ أصحاب الأهواء إلى الاستدلال ببعض الآيات دون بعض، أو تأويل كثير من الآيات التي لا توافق أهواءهم.

---

(١) تفسير الطبري (٧٧/ ١).

١٤- تثوير القرآن[١]:

والمراد بذلك: إثارة الأسئلة التى تُعين على فهم القرآن وتدبره، ثم محاولة التفكير في الإجابة عنها؛ وعرضها على كلام أهل العلم أو سؤالهم عنها ليزداد الإنسان بصيرة.

وليتجنب المتدبر نشر تدبره لأول وهلة؛ حتى يكون عنده دربةٌ على التدبر الصحيح، ومن أكثر الأسئلة التي ينبغى للإنسان أن يستصحبها في تدبره: ما الحكمة من...؟

ففي سورة الفاتحة مثلًا: ما دلالة الابتداء بالحمد؟ وما دلالة تقديم الرّحمن على الرّحيم، وما دلالة ذكر يوم الدّين؟ وما دلالة تقديم العبادة على الاستعانة؟ وغير ذلك من الأسئلة التي تفتح الذّهن للتّدبُر.

١٥- التفاعل مع الآيات:

ثبت عن النبي ﷺ أنه كان إذا قرأ فمرَّ بآية تسبيح سبّح، وإذا مرَّ بآية سؤال سأل، وإذا مرَّ بآية تعوُّذ تَعوَذ.

وهذا التّفاعل إذا صاحبه حسن اختيار للمكان، مع جهر بالقراءة، وجودة صوت وتغنٍّ في التّرتيل، وتكرار لبعض الآيات، أو حسن إنصات واستماع فلا يكاد يخطئ تدبّره.

١٦- انتفاء الموانع.

---

(١) هذا المصطلح ذكره ابن مسعود رضي الله عنه بقوله: «من أراد العلم فليثور القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين». أخرجه الطبري في الكبير (١٤٦/ ٩)، وعبدالله بن أحمد في زوائد الزهد برقم (٨٥٤).

الأسباب المعينة على التدبر

الاستعانة بالله	الإخلاص	تعظيم كلام الله وحبه	التدرج في التدبر	الدعـاء
كتب التفاسير	العلم بعظم أجر التدبر	حضور القلب	اختيار الزمان والمكان والمقدار المناسب	ترديد الآية وتكريرها
فهم معاني الآيات	تثوير القرآن	التفاعل مع الآيات	سلامة طريقة التفكير	انتفاء الموانع

خامسًا- فوائد التّدبر وثماره:

معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله

زيادة رسوخ الإيمان في القلب والدافعية للعمل

الامتثال لأمر الله

١- معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد: ١٩].

فهو الخالق المعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى تدبّر أسمائه وأفعاله وصفاته جلّ في علاه.

٢- يزيد رسوخ الإيمان في القلب ويدفعك للعمل: قال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [البقرة: ٤٣].

٣- فهم مراد الله من الآيات والعمل بها.

٤- تحقيق الخشية من الله تعالى:

٥- الامتثال لأمر الله في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [محمد: ٢٤].

فهو من أجَلِّ الأعمال وأفضل التّعبّدات[١].

٦- التدبر جزء من تعلم القرآن الوارد في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه**»[٢].

٧- التّدبر دواء للقلب من أمراضه: قال إبراهيم الخواص: «دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتّدبّر، وخلاء البطن، وقيام اللّيل، والتّضرّع عند السّحر، ومجالسة الصّالحين»[٣].

٨- أنّه طريق للعمل بالقرآن: كما قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ والذي نفسي بيده إنّ حقّ تلاوته أن يُحل حلاله، ويحرّم حرامه[٤].

٩- أنّه طريق لاستخراج العقائد والأحكام: كما قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن تدبر القرآن وتدبر ما قبل الآية وما بعدها وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج»[٥].

١٠- يوقف المتدبّر على مجامع الخير ومعاقد الشّرور: كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرهما، وعلى طرقهما وأسبابهما، وغاياتهما وثمراتهما، ومآل أهلها»[٦].

---

(١) انظر: الخلاصة في تدبر القرآن الكريم (ص٢٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه (٥٠٢٧).

(٣) انظر: التّبيان في آداب حملة القرآن (ص٦٧).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢/ ٥٦٧).

(٥) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٩٤).

(٦) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٥١).

١١- التّدبر يُعَرِّفُ العبد على ربّه وعلى صراطه المستقيم، وعلى عدوّه الشّيطان الرّجيم[١].

ابن القيم رحمة الله عليه أوجز هذا في ثلاث جمل:

قال ثمرات التّدبّر وفوائده:

التّدبّر له درجات أيضًا؛ **كيف أتدرج فيه؟**

سادسًا- درجات التّدبر:

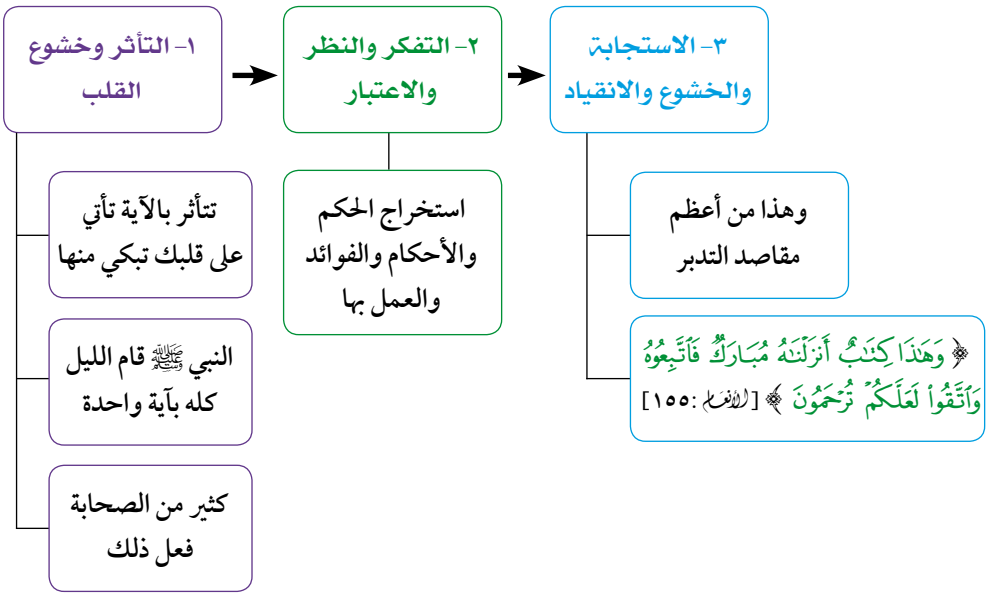

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ٤٥٢).

سابعًا- أقوال الصّحابة والتّابعين والعلماء عن التدبر:

الرّقم	المقولة	صاحب المقولة
١	فإذا سمعت الله يقول: «يا أيها الذين آمنوا» فارعها سمعك (فاصغ)، فإمّا خير تؤمر به أو شر تصرف عنه	ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٢	تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إليه بشيء هو أحب إليه من كلامه	خباب بن الأرت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
٣	يا ابن آدم، كيف يرق قلبك وإنما همتك في آخر السورة!	الحسن البصري
٤	أهل القرآن هم العالمون به العاملون بما فيه وإن لم يحفظوه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل بما فيه فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم	ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ
٥	فإن تدبر كتاب الله مفتاح للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمان في القلب وترسخ شجرته.	الإمام السّعدي
٦	ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلًا عن معرفة حكمه وأسراره وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلًا عن غير الحافظين له	أبو بكر الجزائري

هل هناك خطوات عملية للتدبر؟ -نعم.

ثامنًا- ما خطوات التدبر؟

١- الإخلاص وصدق النية:

فإن أخلصت وصدقت النية مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سَيُفْتَح لك فتح عجيب، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا أعطى أدهش.

٢- صفاء الذهن وحضور القلب ودقة النظر وعلو الهمة.

٣- الدّعاء: لن توفّق أنت ولا أنا إلا بالاستعانة بالله؛ ندعو الله ونسأله أن يوفقنا لهذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأن نتبرأ من الحول والقوّة إلى حول الله ونلجأ إليه هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعلّمنا وأن يفهمنا.

٤- مراعاة آداب التلاوة: من طهارة مكان وإخلاص واستعاذة وبسملة وتفريغ النّفس من شواغلها والخشوع والتّأثّر وحصر الفكر مع القرآن.

٥- التّلاوة بتأن وتدبر وانفعال وألا يكون همة القارئ هي نهاية السورة.

٦- الوقوف مع الآية التي يقرؤها وقفة متأنية فاحصة مكرّرة.

٧- ملاحظة البعد الواقعي للآية: بحيث يجعل من الآية منطلقًا لعلاج حياته، وميزانًا لما حوله وما يحيط به.

٨- العودة إلى فهم السّلف للآية وتدبرهم لها.

٩- النّظر في اسم السورة -بدايتها- خواتيمها ومقصودها.

لماذا سمّيت سورة البقرة بهذا الاسم؟ مع أنّ فيها قصصا كثيرة، فيها قّصة بني إسرائيل، والنّمرود وغيرهما؛ فلماذا اختار اسم البقرة؟

١٠- ربط أول السّورة بما قبلها وآخرها بما بعدها. لماذا؟

قال السيوطي: «إنّ من وجوه إعجاز القرآن مناسبة آياته وسوره، وارتباط بعضها ببعض كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني».

١١- التأمل في القصص القرآني.

جاءت قصّة في القرآن تأمّل فيها؛ **لماذا هذه القصة؟ ما العبرة منها؟ ما العظة؟ لماذا ربي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يذكرنا بهذه القصة؟ وهكذا.**

١٢- النّظر في أسماء الله الحسنى في آخر الآية لأنها ترتبط بالأحكام التي قبلها في الآية.

١٣- الاطّلاع على آراء بعض المفسّرين للآية.

١٤- العودة المتجددة للآيات وعدم الاكتفاء بمرة واحدة.

١٥- التمكن من أساسيات علوم التفسير مثل كتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للإمام السعدي.

١٦- النّظرة التّفصيليّة فى سياق الآية وتركيبها، ومعناها ونزولها، وغريبها ودلالاتها.

مثلًا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

لماذا قال ذلك؟ ولماذا قال الكتاب بالألف واللام؟؛ .. وهكذا.

١٧- استخراج واستنباط الفوائد من الآيات وما المطلوب من هذه الآية والعمل بما فيها.

١٨- كيف نحوّل هذه الآيات إلى عمل: فالتّدبر يثمر عملا. قال الإمام السعدى (كلما ازداد العبد تأمّلا فيه ازداد علمًا وبصيرة).

حضور القلب	الإخـلاص	صفاء الذهن
° مراعاة آداب التلاوة. ° النظر في أسماء الله الحسنى.	° النظرة الشمولية للسورة. ° التأمل في القصص القرآني.	° ربط السور والآيات ببعضها. ° العودة إلى فهم السلف الصالح.

بعض الدّارسين عندما نقول له: ما تدبّرك للآية؟ يقول أنا قرأتها في التّفسير

فهو يعتقد أنّ التّدبر هو التّفسير. لا؛ هناك فرق بين التدبر والتفسير.

تاسعًا- ما الفرق بين التّدبر والتّفسير؟

التفسير	التدبر
كشف المعنى وتوضيحه.	إدراك مغزى الآيات ومقاصدها، واستخراج دلالاتها وهداياتها، والتفاعل معها وامتثالها.
المفسر غرضه العلم بالمعنى.	المتدبر غرضه الانتفاع والامتثال علمًا وعملًا وسلوكًا.
حسب الحاجة، بالقدر الذي يفهم به كلام الله	مأمور به عامة الناس، والناس فيه درجات.
له شروط؛ لأنه من القول على الله.	لا يحتاج إلى شروط إلا فهم المعنى.
ليس بواجب، وإنما وجوبه بحسب الحاجة.	واجب على كل حال.
وسيلة للتدبر.	الغاية من نزول القرآن.

الخاتمة:

* ليس الغرض من التدبر مجرد الترف العلمي والافتخار بتحصيل المعرفة والتوصل إلى كشف المعاني، وإنما وراء الفهم غرض التذكر والعظة والعمل والانتفاع (الإيمان - العلم - العمل).

اعلم أخي الكريم -رعاك الله- أن بشاشة القرآن لا تخالط القلب إلّا لمن أخذه للعلم والعمل.

وكم من أوعية حفظت القرآن، ولم تهتد به عياذا بالله.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثنى على من تدبّر كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتأثر به.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال أيضًا:

﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧-١٠٩].

خرّوا وسجدوا لأنّ السبب اختلف؛ - السّبب الأوّل كان لتنزيه الله وتعظيمه ﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ﴾.

- والسبب الثّاني كان تأثر القلوب بمواعظ القرآن والبكاء ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾.

فكانت مواعظ القرآن الكريم سببا في هذا البكاء وزيادة الخشوع.

الآن نبدأ بمدارسة بعض القواعد في تدبّر القرآن، ولا خلاف عند ذوي البصائر أنّ أجل العلوم ما كانت فيه الفائدة أنفع وأعمّ، و السّعادة به أتمّ، كعلم القواعد؛ فهو طريق السّعداء إلى دار البقاء، ما سلكه أحد إلّا اهتدى، فمن المهمّ في كل علم -أخي الكريم- أن يتعلّم المرء من أصوله ما يكون له عونا على فهمه، وتخريجه على تلك الأصول؛ ليكون علمه مبنيا على أسس قويّة ودعائم راسخة، وقد قيل: «من حُرِم الأصول حُرِم الوصول» فبقدر إحاطتك بالأصول أو القواعد، بقدر ما يسهل عليك الجزئيات والتّفريعات، فمن المعلوم أن من أراد الذهاب لمكان ما، فلابدّ له أن يعرف الطّريق الموصلة إليه. وإذا تعدّدت الطّرق يبحث عن أقربها وأيسرها، وبالمثل، فمعرفة قواعد التدبر أقصر وأيسر الطرق لتدبر القرآن، ومن ألمّ بها انفتحت له من المعاني والدّلالات القرآنية ما يعجز عنه الوصف، وصار بيده أداة من أدوات الفهم والاستنباط.

ما معنى القاعدة؟

القاعدة لغة: هي الأصل الذي يُبنى عليه غيره.

القاعدة اصطلاحًا: هي عبارة عن حكم كلّي يُتعرف به على أحكام جزئيّاته، وتتميّز بالإيجاز في الصّياغة؛ مع عموم المعنى والدّلالة على المناط والعلّة.

ما أهمية دراسة القواعد (طريقة التأصيل والتقعيد)؟

أوّلا- تحيي طريقة التّعليم في القرآن والسّنة:

فالتعليم في القرآن والسنة قائم على التأصيل، لذا فهما يذخران بكثير من القواعد والأصول، قال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

مثال من القرآن: قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ [الأعراف: ٣٢]، هذه قاعدة فقهية في باب الزينة، يندرج تحتها الزينة في المأكول والمركوب والمعلق والمفروش ... إلى غير ذلك.

مثال من السنة: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنّما الأعمال بالنيّات**» هذه قاعدة عظيمة النّفع يندرج تحتها كثير من الجزئيّات.

ثانيًا: اختصار الزّمن في الطّلب:

فإذا أردت أن تتعلم فرعا من المعرفة فابدأ بالقواعد تختصر كثيرا من الوقت والجهد، فبدلا من قضاء العمر في دراسة التفريعات والجزئيات، فإن القاعدة يندرج تحتها كثيرا من الجزئيات، فادرس القاعدة وتطبيقاتها، ثم قس عليها ما اندرج تحتها.

يا طلبة العلم، أوصي نفسي وإياكم ألّا تنشغلوا بالتّفريع والتّجزيء، ولا تطلبوا العلم على طريقة الفروع وقطف الأوراق، بل ابدأ من الأصل حتى تكون راسخا في العلم.

ثالثًا: اكتساب ملكة التّدبّر:

من فوائد طريقة التّأصيل والتّقعيد، أن تتكون لديك ملكة التّدبّر، وذلك لاستقرار المعلومة في قلبك، فمعك قاعدة راسخة تسير في ضوئها.

رابعًا: ضبط الفروع:

من فوائدها أيضًا ضبط الفروع في قالب منسق لصيانتها من الضّياع والتّشتت.

* وقد استنبطت هذه القواعد من عدة مصادر، منها:

١- كتاب القواعد الحسان لتفسير القرآن للإمام السعدي بشرح ابن عثيمين.

٢- «قواعد تدبر القرآن وتطبيقات على قصار المفصل» للدكتور عقيل الشمري.

٣- قواعد مستنبطة من التفسير واللغة.

* وقد اخترت بعضًا من القواعد اليسيرة كبداية، ولك أن تتبحر بعد ذلك في هذا البحر الخضم، وتستخرج المزيد من اللآلئ والدرر.

وأذكر في هذا المقام أبياتا للشيخ ابن عثيمين قال فيها:

وبعدُ فالعلمُ بحورٌ زاخرة ... لنْ يبلغَ الكادحُ فيه آخرَه

لكنْ في أصولِه تسهيلا ... لنيله فاحرصْ تجدْه سبيلا

اغتنمْ القواعدَ الأصولا ... فمن تفُتْهُ يُحرَم الوُصُولا

فوائد طريقة التأصيل والتقعيد

القاعدة الأولى: قاعدة الفعل المضارع

الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار أو استحضار الصورة

إن تعلم اللغة من الأهمية بما كان لمن يدرس التدبر وعلوم القرآن بصفة عامة، وهناك كثير من القواعد مستنبطة من قواعد اللغة بشكل عام، منها هذه القاعدة اليسيرة التي بين أيدينا، ألا وهي قاعدة الفعل المضارع.

س/ ما معنى «مضارع»؟

ج/ «مضارع»: اسم فاعل من «ضارع»، أي شابه، كما قال ابن منظور في لسان العرب.

س/ لماذا سميّ الفعل المضارع بهذا الاسم؟

ج/ لأنه يشبه كلا من الاسم والفعل؛ يشبه الاسم في كونه معربًا، ويشبه الفعل (الفعلين الماضي والأمر) في كونه مبنيا (في بعض أحواله).

واعلم أن الأفعال تكتسب دلالتها الزمنية من السياق، وليس من بنيتها الصرفية، وأن وراء ذلك معان بلاغية.

القاعدة تقول:

> **القاعدة الأولى: الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار، أو استحضار الصورة**

أمثلة:

يقول ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ١-٧].

كم فعلًا مضارعًا في هذه السّورة؟

خمسة أفعال مضارعة: يكذّب، يَدُعُّ، يَحُضُّ، يُرآءون، يمنعون.

هذه الأفعال مضارعة ماذا تفيد؟

تفيد الاستمرار والتّجدّد وفقًا للقاعدة.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ﴾ تفيد تكرار التّكذيب بيوم القيامة، وتكرار طرد اليتيم ﴿يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ وعدم الحض على إطعام المسكين والاستمرار على ذلك.. وهذه عادة أهل الكفر.

إذن:

هذه أفعال مضارعة تدل على استمرار وتجدّد الكفّار على هذه الأفعال المشينة.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

كم فعلًا مضارعًا في هذه الآية؟

ثلاثة: 'يؤمنون'، 'يقيمون'، 'ينفقون'.

هذه الأفعال المضارعة تدلّ على الاستمرار والتّجدّد، أذكرُ القاعدة أوّلا ثم أصوغ الجملة التّدبّرية مستعينًا بالتّفاسير، كلّ هذه الأفعال المضارعة تدلّ على الاستمرار، فالمؤمنون دائما يؤمنون بالغيب ودائمًا يقيمون الصّلاة، ودائما مستمرّون على الإنفاق.

وبالعودة إلى التّفسير، يمكننا صياغة عدة جمل تدبرية، فنقول:

١- الله يأمرنا بالإيمان بالغيب والمداومة على الصّلاة والإنفاق.

٢- هذا وصف للمؤمنين والمتّقين أنّهم مداومون ومستمرّون على الإيمان بالغيب وإقامة الصّلاة والإنفاق.

٣- أثنى الله على المتّقين بأنّهم مستمرون على الإيمان بالغيب ومداومون على إقامة الصّلاة والإنفاق...

كلّ هذه الجمل تدبّرية، يمكن أن تصوغها من خلال القاعدة، وتلاحظ أنّ كل هذه الجمل فيها كلمة «مستمرّون»، «يتجدّد عندهم»، «يداومون»، وكلّها من دلالات الفعل المضارع.

وهكذا فالمؤمن دائمًا عليه أن يتتبع قلبه ويجدد إيمانه ويتعاهده، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**جَدِّدُوا إيمانَكم، أَكْثِرُوا من قولِ لا إله إلا اللهُ**» ضعيف.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق: ٩-١٠].

أين الفعل المضارع؟

(ينهى): فعل مضارع يدلّ على الاستمرار، وفقا للقاعدة، وبالعودة للتّفسير، نرى أنه يدلّ على استمرار المشركين في نهي النّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الصّلاة، هذه السورة نزلت في أبي جهل بن هشام كما ذكر الطبري..

مثال آخر: يقول ربّ العالمين في سورة الملك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

الفعل المضارع: «يخشون» يدلّ على ضرورة المداومة على الخشيّة.

ويمكن أن أقول: فيها ثناء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الّذين تتجدّد الخشيّة في قلوبهم.

أو: فيها أمر من الله على مداومة وتجديد الخشية في القلب.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

الفعل المضارع: 'تنزّل'، جاءت بالمضارع لتدلّ على استمرار نزول الملائكة في تلك اللّيلة المباركة إلى الفجر.

أمثلة على أن الفعل المضارع يدلّ على استحضار الصّورة:

ما معنى استحضار الصّورة؟

أي استحضار المشهد.

مثال: يقول ربّ العالمين في سورة البقرة: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

أين الفعل المضارع؟ (يرفع).

هل مازال إبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يرفعان القواعد حتى الآن؟

الجواب: كلا، إذن الفعل المضارع هنا لا يفيد الاستمرار والتّجدّد.

لماذا جاء التّعبير بالفعل المضارع؟

هنا يفيد استحضار المشهد أو استحضار الصّورة.

إذن تركت كلمة «التّجدّد والاستمرار»؛ لأنّها ليست مناسبة لتفسير الآية، هذا الحدث تمّ وانتهى فكيف أقول يفيد التجدد والاستمرار؟ لا يصلح هذا. أقول هذا الفعل المضارع يفيد استحضار صورة بناء الكعبة، تفخيمًا وتعظيمًا لهذا البناء وكأنّك تراه.

واستحضار الصّورة غالبًا يأتي مع 'إذ' ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومع 'ربما' ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢].

ومع 'لو'، ومع 'لم'.

كيف أعرف الفعل المضارع؟

الفعل المضارع يبدأ بأحد حروف: <أنيت>. الهمزة، والنون، والياء، والتاء.

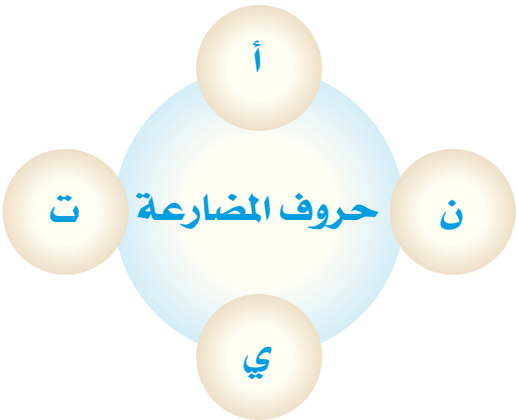

فعل + حروف مضارعة = فعل مضارع

القاعدة الثانية: قاعدة التنوين

التّنوين في القرآن يدلّ على التّعظيم، أو التّهويل، أو التّحقير والتّقليل، وقد يفيد التّكثير أو التّبعيض، أو الإبهام، وقد يفيد التّنويع، أو المبالغة، وقد يفيد العموم، أو الوحدة أو المزاوجة.

التّنوين في القرآن من البلاغة، وهو من خصائص وجماليات اللّغة العربيّة، وهو نوع من الاختصار.

في القرآن الكريم، حوالي تسعة آلاف (٩٠٠٠) كلمة منوّنة، وله أنواع كثيرة منها:

تنوين التّمكين، وتنوين التّنكير، وتنوين العوض، والمناسبة، والفواصل، والضّرورة والحكاية، والهمز.

القاعدة تقول: إنّ التّنوين في القرآن يدلّ على التّعظيم والتّفخيم، أو التّهويل أو التّحقير والتّقليل، يمكن أيضًا أن يفيد التّكثير أحيانًا، أو التّبعيض، أو الإبهام، وأحيانًا يفيد التّنويع، وأحيانًا يفيد المبالغة، وأحيانًا يفيد العموم، أو الوحدة أو المزاوجة.

إذن فله دلالات كثيرة حسب سياق الآية.

مثال: يقول ربّ العالمين: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٦].

أين التّنوين هنا؟ <أجرٌ>.

لماذا جاءت منوّنة؟

تدلّ على تفخيم وتعظيم الأجر لهؤلاء المؤمنين.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥].

لاحظ «هدًى» منوّنة، تدلّ على عظم الهداية الحاصلة للمؤمنين.

مثال آخر: يقول ربّ العالمين ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾ [القدر: ٥].

أين التنوين؟ <**سلامٌ**>

تدلّ على التّعظيم؛ كلمة تعظيم نأخذها من القاعدة، تدلّ على عظم ما في ليلة القدر من سلامة من الشّرور والآثام، والحصول على الخيرات.

مثال آخر: يقول ربّ العالمين: ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾ [المسد: ٣] نعوذ بالله.

كلمة <**نارًا**> منوّنة.

لماذا؟ تدل على عظم وشدة هذه النار، نعوذ بالله منها.

مثال آخر: يقول ربّ العالمين: ﴿سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨].

كلمة «**قولا**» تدلّ على تعظيم قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

*** مثال آخر لفهمٍ آخر للتنوين:**

يقول ربّ العالمين: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ﴾ [البقرة: ٩٦].

<**حياةٍ**> مّنونة.

تدلّ على حقارة هذه الحياة؛ حريصون على هذه الحياة رغم حقارتها.

مثال آخر: يقول ربّ العالمين: ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ﴾ [البقرة: ١٠]، (عَذَابٌ) منوّنة.

تدلّ على التّهويل، تخويف لهؤلاء الكفار وشدّة العذاب لهم.

وهكذا نختار الغرض المناسب للسياق.

القاعدة الثالثة: قاعدة صلة الموصول

> صلة الموصول تفيد الاهتمام ولفت الانتباه والعلة.

الأسماء الموصولة مثل: 'الّذي'، أو 'الّذين' أو 'الّتي' أو 'اللائي'...

لو قلت لك مثلًا «جاءت الطّالبة الّتي..» **هل أعطتني هذه الجملة.. معنىً مفهومًا؟**

كلا، لكن لو قلت: «جاءت الطّالبة الّتي تحفظ القرآن» جملة «تحفظ القرآن» اسمها 'صلة الموصول' وصلت المعنى وبيّنته.

«صلة الموصول» هذه الّتي تأتي بعد الاسم الموصول، لتصل المعنى وتبينه، وتدلّ على الاهتمام ولفت الانتباه والعلّة.

القاعدة الثالثة: قاعدة صلة الموصول في القرآن تفيد الاهتمام ولفت الانتباه والعلة

صلة الموصول تفيد الاهتمام، لفت الانتباه، العلّة.

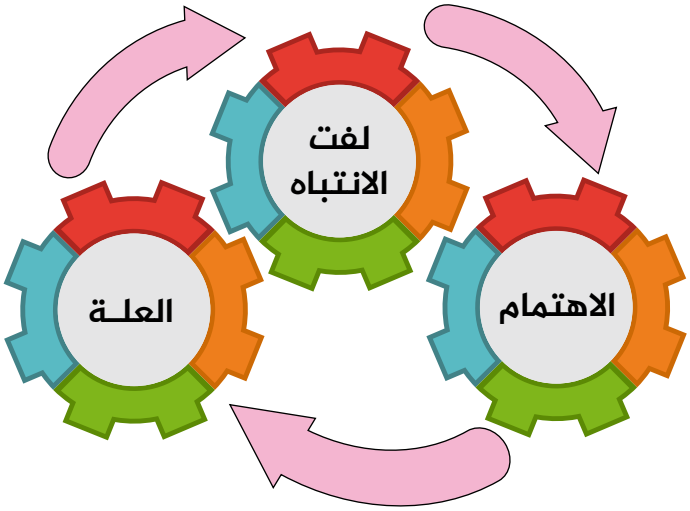

بعض الأسماء الموصولة:

ولنأخذ بعض الأمثلة لتتّضح القاعدة:

يقول ربّ العالمين: ﴿ٱلَّذِىٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾ [قريش: ٤].

«الّذي» من الّذي أطعمهم؟ ربّ العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ ماذا تفيد؟ ج/ تفيد العلّة.

إذن أصيغ الجملة التّدبّريّة:

الّذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف، هو الرّب، وتوحيد الرّبوبيّة يستلزم توحيد الألوهية، فصلة الموصول هنا بعد كلمة «الّذي» تفيد عِلِيَّة الحكم؛ لماذا يعبدونه؟ لأنه هو الّذي أطعمهم.... إذن صلة الموصول هنا تفيد العلّة.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [البينة: ٦].

ما سبب خلودهم في النّار؟

أنّهم كفروا.. فصلة الموصول هنا تفيد العلّة، أي أنّ سبب خلودهم في النّار هو كفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]

أين صلة الموصول في هذه الآية؟

'**الّذي**' اسم موصول، و'**أنزل فيه القرآن**' هي صلة الموصول.

سؤال/ هل شهر رمضان لم يحدث فيه إلا نزول القرآن؟

ج/ بل حدث فيه كثير من الأحداث، وفيه كثير من الفضائل والخيرات، مثل قول النّبيّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، و«**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»، «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ..**»[1] إلى آخر تلك الفضائل.

س/ إذن لماذا خص القرآن الذكر هنا؟

ج/ للدلالة على فضل القرآن وشرفه وأهميته، فصلة الموصول هنا تدلّ على الاهتمام، وللحثّ على تلاوة القرآن في شهر رمضان أكثر من غيره.

---

(١) رواه البخاري.

مثال آخر:

يقول ربّ العالمين: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]

(يخشون ربّهم) هذه «صلة الموصول».

وصلة الموصول هنا فيها الحثّ على الخشيّة والاهتمام بها.

وفيها قاعدة أخرى، وهي قاعدة «الفعل المضارع»، فهم مستمرون على الخشية وهي متجددة في قلوبهم.

إذن يمكن أن تجتمع في الكلمة أكثر من قاعدة.

ما معنى الخشيّة؟

الخشيّة هي الخوف من الله، تعظيمًا له -سبحانه- ومهابة وحبًّا وإجلالا.

صياغة الجملة التدبرية:

القاعدة الرابعة: الجملة الاسمية

الجملة الاسمية
تدل على الدوام والثبوت والاستقرار

لا أتكلّم عن الاسم هنا، ولكن أتكلم عن الجملة الاسمية، والجملة الاسمية أقوى في التعبير من الجملة الفعلية.

س/ ممّ تتكوّن الجملة الاسميّة؟

ج/ تتكوّن من المبتدأ والخبر أو ما يسمّى مسند (الخبر) ومسند إليه (المبتدأ).

فعندما أقول: «محمّد ناجح»، فهنا أسندت النّجاح إلى محمد.

ولسنا بصدد الحديث عن المبتدأ، أو عن الخبر وأنواعه، وإنما نركز على الدلالة التدبرية للجملة الاسمية في القرآن الكريم.

أمثلـة:

المثال رقم	الآية القرآنيّة	الجملة الاسميّة		دلالتها
		المبتدأ	الخبر	
١	﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ٥]	أولئك	هم المفلحون.	إنّها جملة اسميّة تدلّ على ثبات واستقرار الفلاح لهم ودوامه؛ أي أنّه صار ملازمًا لهم ومستقرًا عندهم.
٢	﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٣]	هم	دائمون	الجملة الاسمية: (هم على صلاتهم دائمون) تدلّ على ثباتهم ومداومتهم على الصلاة. لا يقطعون الصلاة ولا يؤخرونها ولا يجمعونها؛ ولا يتركون ركنًا ولا واجبًا ولا سنّة.
٣	﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]	نحن	مسلمون	هذه جملة اسمية تدل على ثبات واستقرار إسلامهم ودوام استسلامهم لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.
٤	﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون: ٤]	أنا	عابد	هي جملة اسمية تدل على تأكيد تركه معبوداتهم، وذلك لكمال يقينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتدل على الثبات والدوام والاستقرار.

هذه كانت قاعدة الجملة الاسمية، وهي يسيرة وسهلة بفضل الله وذكرنا عليها أمثلة كثيرة.

فلننتقل إلى القاعدة الخامسة ألا وهي قاعدة «حذف المعمول».

القاعدة الخامسة: حذف المعمول

> حذف المعمول يفيد العموم

ما معنى المعمول؟

المعمول اسم مفعول من «عُمِلَ»، وهو ما يتغير آخره برفع أو نصب أو جر أو جزم بسبب أو تأثير من العامل، وقد يكون المعمول هذا فاعلًا أو مفعولًا به أو غيره.

لماذا تحذف العرب المعمول؟

١- الحذف في محلّه بلاغة وإيجاز، ويكسب الكلام قوة وجمالًا، وقد كان حديث النبي ﷺ كان فصلًا وبَيِّنًا موجزًا، يفهمه كل من يسمعه، فقد أوتي جوامع الكلم ﷺ.

٢- يُحْذف المعمول لتوسيع قاعدة المعنى وتعميمه.

وبالمثال يتضح المقال:

مثال: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

أين المفعول به؟ حُذِف.

تتقون ماذا؟ هل تتقون عذاب الله؟ هل تتقون غضب الله؟ هل تتقون النار؟ ...

فحذف المعمول هنا يدلّ على عموم التقوى.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

وقد جاءت كثيرًا في القرآن.

تعقلون ماذا؟ حُذِفَ المفعول الذي يسمى <المعمول>.. لماذا؟

حتّى يذهب ذهنك كلّ مذهب وتعقل كلّ شيء؛ تعقل الحلال والحرام والأحكام والأصول والفروع والأوامر والنّواهي.. تعقل آيات الله وتتدبّرها وتتفكّر فيها.. إلى غير ذلك... فأفادَ العموم.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

تشكرون ماذا؟ ومتى؟

في الدّنيا أشكر ربّ العالمين **على ماذا؟** – على كل شيء.

أشكره على عطائه، وأشكره على كمال ذاته وصفاته وأفعاله، وأشكره على إنعامه علينا جميعًا.. إذن نشكر الله على كل شيء، فهنا حذف المعمول للعموم.

مثال: قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ [النبأ: ٤].

س/ هل ذكر هنا ماذا سيعلمون؟ ج/ كلا، وهذا نوع من التهديد.

إذن أفاد حذف المعمول هنا عموم التهديد، فيذهب الذهن من الخوف كل مذهب.

مثال: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

هنا حُذِفَ مفعول الفعل <يعلم>.

لماذا؟ – حتى يذهب الذهن كل مذهب في الخوف.

معناها: هل يعلم الإنسان ماذا ينتظره إذا بُعثر ما في القبور؟!

حَذْفُ المعمول هنا أفاد عموم التهويل والتخويف.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥].

يعطيك ماذا؟ يعطيك نهر الكوثر؟ يعطيك الشفاعة؟

فأفاد حذف المعمول هنا، عموم العطاء وسعته للنبي ﷺ ولأمته.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤].

فأفاد العموم أي أن الله يرى كلّ شيء ولا تخفى عليه خافية.

مثال آخر: في قوله تعالى: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

إن كنتم لا تعلمون ماذا؟ – لم يقل.

ذكر المسؤولين، وهم أهل الذّكر وحذف المسؤول عنه.

وذلك ليعمّ كلّ ما كان العبد لا يعلمه.

مثال آخر: وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

هذه جملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار والدّوام فهم محسنون دائمًا، وفيها أيضًا قاعدة حذف المعمول.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

أحسنوا في ماذا؟ هل في القول؟ أم في الفعل؟ أم في عبادة الخالق؟ أم مع المخلوقين؟ هل في الحال؟ أم في المآل؟..

إذن أفادت عموم الإحسان.. أي جميع وجوه الإحسان.

*** مثال على حذف نائب الفاعل لأغراض تختلف حسب السياق:**

مثال: قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ [الإنسان: ١٥].

هنا حُذف نائب الفاعل وبني الفعل للمجهول، فلم يقل من الذي يطوف.

وذلك لأنّ المقصود هنا ما يطاف به وهي الآنية، وهذا يدلّ على النّعيم في الجنّة.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ [المؤمنون: ١٠١].

لم يذكر النافخ للعلم به، وهو إسرافيل، ويدلّ ذلك على تحقق الوقوع، ويفيد التهويل.

مثال آخر: ففي قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]

اللّهم ارزقنا، اللّهم اجعلنا منهم واجمعنا فيها زمرًا زمرًا.

فكلمة (وسيق) بُنيت لما لم يُسَمّ فاعله، وهذا فيه نوع من التّشويق لمعرفة الفاعل.

* وهنا حذف جواب الشرط مع أهل الجنة لعموم ما يتحقق من نعيم لا يستطيع العقل أن يدركه، وليذهب العقل كل مذهب في تخيل هذا النعيم الذي لا يخطر على قلب بشر.

ننتقل الآن إلى القاعدة السّادسة وهي قاعدة الحرف المشدّد.

القاعدة السادسة: الحرف المشدد

الحرف المشدد يدل على: الاجتماع - القوة - الشدة - بذل الجهد - الإحكام - المتانة - الكثرة.

والحرف المشدّد يتكون من حرفين: الأوّل ساكن والثّاني متحرّك.

وهو يفيد أيا من الأغراض السابقة، بحسب ما يقتضيه السياق ويناسب التفسير.

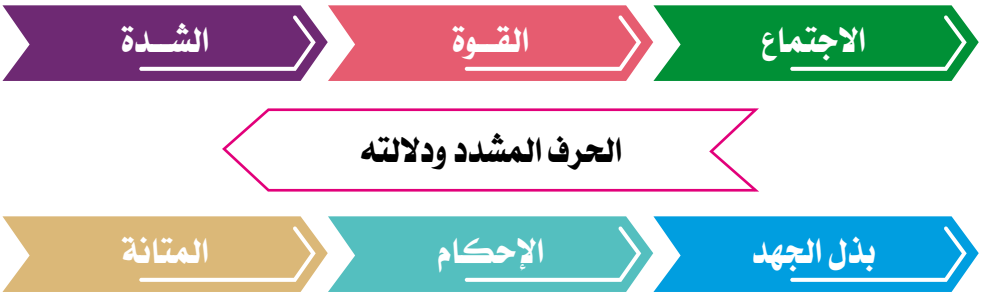

مثال: قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾ [يوسف: ٢٣].

أين الحرف المشدد؟ – اللام في كلمة "**وغلَّقت**".

حرف اللام المشدد هنا يدل على الإحكام، ومتانة إغلاق هذه الأبواب.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾ [إبراهيم: ٤٩].

الراء في كلمة ﴿مُّقَرَّنِينَ﴾ جاءت مشددة لتدل على متانة وإحكام هذه الأصفاد للتنكيل بهم.

*** وهناك جملة مهمة لابد أن نعلمها ونفهمها وهي:**

أن القرآن كله كمال، فالإسهاب فيه كمال، والإيجاز فيه كمال.

فمثلًا في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ [البلد: ١].

فكلمة (لا) تفيد توكيد القسم وتقويته.

وأيضًا قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾ [يوسف: ٩٦].

لم يقل (فلمّا جاء)، ولكن قال (أن جاء)، وذلك للتّوكيد.

فالزيادة، سواء كانت في حرف، أو في وزن كلمة، أو تضعيف.. لها دلالات ومعانٍ نتعرف عليها من خلال القاعدة التالية:

القاعدة السابعة: زيادة المبنى

قاعدة زيادة المبنى تدل على:

- زيادة المعنى غالبًا
- التراخي والتمهل
- التأمل والتفكر
- الكثرة
- انفصال الأجزاء

* نختار من هذه الأغراض ما يناسب السياق ويقتضيه التفسير.

قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢].

الحرف الزائد وهو <الطّاء> في كلمة (واصطبر) فلم يقل (واصبر).

أفاد التّمهل والتّراخي ومزيدًا من الصّبر.

أي اصبروا على أولادكم وعلى بناتكم عندما تأمروهم بالصلاة وتمهلوا.

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مُرُوا أولادَكم بالصلاةِ و هم أبناءُ سبعِ سِنِينَ ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عشرِ سِنِينَ**» [صحيح الجامع].

أي: تظل ثلاث سنوات تُعَلم في اليوم الواحد خمس مرّات.

فالأمر يحتاج إلى صبر وإلى تمهّل..

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا﴾ [نوح:١٠].

نلاحظ جاءت <**غفارًا**> صفة مشبهة، تدلّ على كثرة المغفرة منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو واسع المغفرة، وواسع الفضل سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والمغفرة تفتح باب الرّجاء.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ [الكهف:٩٧].

نلاحظ أن الكلمة الأولى (اسطاعوا) والكلمة الثانية (استطاعوا)

هناك <تاء> زائدة في الكلمة الثانية؛ **لماذا؟**

فهذا الجدار من النّحاس والحديد، فصعود هذا الجدار الكبير العظيم يحتاج إلى خفّة، وهو أيسر من النقب؛ لذلك جاءت الأولى بدون التّاء (فما اسطاعوا أن يظهروه)..

(وما استطاعوا له نقبًا). <**نقبًا**> أي يثقبوه؛ فهذا يحتاج إلى عدد ومعدات ووقت، فجاءت <التّاء> لتدلّ على زيادة المعنى؛ فهو يحتاج إلى مجهود وبذل جهد ووقت.

فعندما قلّ المبنى قلّ المعنى، وعندما زاد المبنى زاد المعنى.

فنقول دائمًا: إن الألفاظ أوعية المعاني.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ [فاطر: ٣٧].

فقال تعالى: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ ولم يقل: (يصرخون).

أي جاءت بزيادة حرف <**الطّاء**>.

أي زيادة في القرآن هي كمال للآية، وتعطي معانٍ زاخرة.

ودلالة هذا الحرف الزائد هو شدة وكثرة صراخهم في النار.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فجاءت كلمة <**المحيض**> ولم تأتِ الحيض. فهنا: زيادة مبنى تدل على زيادة معنى.

<**المحيض**> هذه تدل على ثلاث مسائل:

١- مكان الحيض.

٢- زمان الحيض.

٣- الدّم نفسه.

أي يحرم على الزّوج أن يطأ زوجته في مكان الحيض في فترة الحيض.

كلام معجز! ومبهر! ولكن يحتاج من يتدبّر فيه، ويتفكّر.

مثال على المضعف الرباعي:

الفعل المضعف الرباعي هو ما تماثل أوله وثالثه، وثانيه ورابعه مثل: زلزل.

مثال: قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة: ١].

ففي كلمة <**زلزلت**> حروف مُضعفة أي مكرّرة، وهذا يدلّ على شدّة الزّلزلة وقوّتها.

قوله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٩٤].

في كلمة (فكبكبوا) مضعّف رباعي.

كما قال ابن عاشور: أي كب بعد كب حتى يستقروا في قعرها (نعوذ بالله).

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

هذه الآية فيها عدة قواعد:

قاعدة صلة الموصول	(يا أيها الذين ءامنوا) تفيد الاهتمام بحيثية التكليف، ألا وهو الإيمان.
قاعدة الفعل المضارع	تفلحون
قاعدة زيادة المبنى	(وصابروا) أي اصبر على صبر عدوّك. فليس المطلوب منك الصّبر فقط بل المصابرة.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف: ٢٠].

فهنا تضعيف في كلمة «**وسوس**» يدل على تكرار الوسوسة من الشيطان، فهو لا يترك الإنسان، بل يوسوس ثم يوسوس، ثم يوسوس.

س/ لماذا قلنا (غالبًا) في القاعدة؟

ج/ لأنّه؛ ليس كلّ زيادة في المبنى تدلّ على زيادة معنى؛ فهناك استثناءات.

فمثلا: كلمة <**قِنْديل**> وكلمة «قُنَيْديلٌ».

س/هل المعنى زاد أم نقص؟

ج/ المعنى نقص لأنّ هذا تصغير.

كلمة <فخ> وكلمة «فُخَيْخ»، هذا تصغير أيضًا وتقليل.

كلمة «طالب» وكلمة «طُوَيْلب»، وهكذا...

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٠].

فكلمة (صدق) أقل في المبنى من كلمة (صادق) ومع ذلك كلمة صدق أكبر في المعنى من كلمة صادق، لأنه تعبير بالمصدر.

«لسان صدق» تعني <الذّكر الجميل> و<الثّناء الحسن> من النّاس.

وكان هذا من دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: (**واجعل لي لسان صدق في الآخرين**).

إذن خلاصة القاعدة أنّ زيادة المبنى تدلّ على زيادة المعنى بشرطين:

١- بالنقل من وزن إلى وزن أعلى منه.

فعل — فعال. قدير — مقتدر. فعيل — مفتعل.

٢- يكون في الفعل أو ما فيه معنى الفعل أي اسم فاعل أو اسم مفعول.

إذن نكون أنهينا هذه القاعدة وننتقل إلى القاعدة التّالية.

القاعدة الثامنة: حذف جواب الشرط

> حذف جواب الشرط يدل على:
> تعظيم الأمر وشدته في مقام الوعيد

فلننتبه إلى كلمة (في مقام الوعيد)!

نعلم أنّ هناك: حروف شرط، وفعل شرط، وجواب شرط.

مثال: «من يذاكر ينجح».

من: أداة شرط، و «يذاكر» فعل الشرط، و «ينجح» جواب الشرط.

أمثلة على حذف جواب الشّرط:

المثال	عناصر الشّرط			الدّلالة
	حرف الشّرط	فعل الشّرط	جواب الشّرط	
١. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٣١].	«لو»	ترى	**محذوف** وتقديره: «لرأيت أمرًا مفزعًا»	حذفه أبلغ..حيث يذهب الذّهن كل مذهب..من الخوف والرّعب.. ففيه تعظيم لهذا المقام بين يدي الله تعالى وفيه تخويف وتهويل.
٢. ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١]	لو	ترى	جواب الشّرط **محذوف**	حذفه يفيد التّهويل.
٣. ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].	لو	يرى	**محذوف**؛ تقديره «لعرفوا كفرهم وبهتانهم»	يدلّ على تهويل هذا الوعيد

٤- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٣٠].

حذف جواب الشّرط لتهويل الوقوف بين يدي الله تعالى، حتى تذهب الأذهان كل مذهب.

٥- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

أين الجواب؟ محذوف تقديره: «أفلستم ظالمين» والدّليل على صحّة هذا القول هو ختام الآية.

إذن حذف جواب الشرط هنا يدلّ على تعظيم الأمر وشدته، وهذا وعيد لهم.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢].

جواب الشّرط محذوف تقديره: «لرأيت عجبًا من سوء حالهم» فهنا لقصد المبالغة، بحيث يذهب الذّهن كلّ مذهب.

فهذه قاعدة عظيمة النّفع.. يأتي بالشّرط ولا يأتي بجواب الشّرط.. ليفيد تعظيم الأمر وشدّته في مقام الوعيد من الله.

فهذه القواعد تفتح لك أخي القارئ بابًا للتّدبّر، بحيث تأخذ القاعدة وتفهمها وتطبّقها على كلّ القرآن.

فنقف عند كلّ آية.. وكلّ كلمة..وكلّ حرف.. ونتدبّر ونفهم ونتفكّر.

القاعدة التاسعة:

النكرة في سياق النفي أو النهي أو الشرط أو الاستفهام تفيد العموم

أولًا نحن نعلم أنّ الاسم ينقسم من حيث الدّلالة على مسمّاه إلى قسمين:

١- نكرة. ٢- معرفة

النكرة: تدل على مسمى عام غير معين، مثل: (طفل - تلميذ - امرأة).

(طفل): لا يقصد بها طفل معين، بل أي طفل.

* والنّكرة تطلق على القليل والكثير.

عندما نقول مثلًا: (تمر) - فالتمر يطلق على التمرة الواحدة، ويطلق على مجموعة التمرات.

* والنّكرة لها دلالات كثيرة، فقد تفيد القليل أو الكثير، وقد تفيد التّعظيم والتّهويل، وقد تفيد التّحقير، .. إلى غير ذلك.

لكن عندما تأتي في سياق نهي أو نفي أو شرط أو استفهام فإنها تفيد العموم.

وحقيقة أنّ كل لفظة وكل حرف في سياق القرآن الكريم وُضع وضعا إعجازيًّا.

فالقرآن العظيم -إن جاز التّعبير- هو بحر زاخر من البلاغة وجودة النّظم ومتانة السَبْك.

ما الفرق بين النّهي والنّفي؟

	تعريفه	حروفه	المثال	السّياق
النّفي	هو ضدّ الاثبات، وهو إنكار ثبوت حُكم ما أو نفي حدوث أمر ما.	لا لم لن ليس	١. ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيّنة: ١]	(لا) النّافيّة لا تؤثّر على إعراب الفعل الذي بعدها.
		ما	٢. ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]	
النهي	النّهي ضدّ الأمر، وهو طلب الكفّ عن شيء (قول أو فعل)..	لا	لا تأكلْ، لا تفعلْ	(لا) النّاهية تدخل على الفعل المضارع فتجزمه.

الأمثلة:

أولًا: نكرة في سياق النّهي:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]

س/ أين النكرة؟

ج/ (شيئًا) نكرة منونة، وحرف النهي: «لا»، والنكرة في هذا السياق أفادت النهي عن عموم الشّرك؛ أي لا تشرك بالله لا في نيّتك، ولا تشرك في قولك أو فعلك، ولا تقع في شرك أكبر ولا أصغر ولا جليّ ولا خفيّ، فلا تجعل لله ندًّا ولا مشاركًا في أيّ شيء.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

النّكرة: أندادًا، جاءت في سياق النهي، وحرف النهي «لا»، تدل النكرة هنا على عموم النهي عن اتخاذ أيّ ند مع الله: شجرًا كان أو حجرًا، أو شمسًا أو قمرًا أو صنمًا... إلى غير ذلك.

المثال الثالث: قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]

النّكرة: «إِلٰهًا»، جاءت في سياق النهي، وحرف النهي «لا»، تدل النكرة هنا كذلك على عموم النهي عن اتخاذ أي معبود مع الله تعالى.

المثال الرابع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣].

النّكرة: (شيءٍ)، حرف النّهي: (لا)، والنكرة في سياق النّهي هنا تفيد عموم الشّيء المراد فعله؛ فأيا شيء أردت فعله في المستقبل، ولو كان قريبا، قل: «إن شاء الله».

وهنا ملمح نذكر فيه:

حال الدّعاء لا تقل «إن شاء الله» لأنّه لا مُكْرِهَ لله على فعل شيء، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دعا أحدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، ولا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إنْ شِئْتَ فأعْطِنِي؛ فإنَّه لا مُسْتَكْرِهَ له**» [رواه البخاري].

المثال الخامس: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحجرات: ١٢].

النّكرة: (بعضًا)، حرف النّهي: (لا)، تفيد عموم البعض، أي عموم الإنسان؛ فلا يغتاب الصّغير الكبير، ولا الكبير الصّغير، ولا يغتاب الحيّ الميّت... وهكذا.

ثانيًا: النّكرة في سياق النّفي:

المثال	حرف النّفي	النّكرة	ماذا أفادت النّكرة في سياق النّفي؟
١. ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [الانفطار: ١٩]	لا	ـ نَفْسٌ ـ شَيْـًٔا	- تفيد عموم النّفس، أي لا تملك أيّ نفس لغيرها شيئًا؛ مؤمنة كانت أو كافرة، لا أحد يملك لأحد شيئًا يوم القيامة إلا ما قدّم هو لنفسه، وكلٌّ يلقى ربّه بما قدّم. - (شيئًا) تفيد عموم الشيء (لا نصرة، ولا تأييدًا، ولا أي شيء).
٢. «لا إله إلا الله» (كلمة التوحيد) تتكون من جزأين: نفي وإثبات.	لا	إله	العموم (نفي عموم الآلهة) «لا» النافية نفت كل إله في السّماء والأرض وأثبتت الألوهية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ
٣. ﴿إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]	ما	ـ بَشَرٍ ـ شَيْءٍ	تفيد عموم البشر، وعموم الشّيء (نفوا أن يكون الله قد أنزل أيّ شيء على أيّ بشر).
٤. ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]	ما	قَوْلٍ	نكرة منونة تفيد التقليل: أي ما من قول يلفظه الإنسان إلا وتسجله الملائكة. * وجاءت مسبوقة بـ«من» لتؤكد العموم.

٥. ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].	لا	ريب	نفي الرّيب عن الكتاب في مضمونه إثبات الكمال لهذا القرآن العظيم فيها خمسة كمالات للقرآن من الآيتين وهي: ١- كمال القرآن في التحدي في إعجازه: (الٓمٓ). ٢- كمال القرآن في المنزلة والعلو: (ذَٰلِكَ). ٣- كمال القرآن في المضمون: (ٱلۡكِتَٰبُ). ٤- كمال القرآن في سلامته من النّقص أو القصور: (لَا رَيۡبَ). ٥- كمال القرآن في كمال المقصد: (هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ).

ثالثًا: النّكرة في سياق الاستفهام

المثال	الأداة	النّكرة	السّياق	الدّلالة
١. ﴿مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٤٦]	من	إِلَٰهٌ	الاستفهام الإنكاري	ـ تفيد عموم نفي الآلهة كلّها غير الله. ـ نفي أن يأتيكم به أي إله إلا الله.
٢. ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]	هل	سَمِيًّا	استفهام إنكاري	النّكرة في سياق الاستفهام تفيد العموم.، أي أنّه لا يوجد أي شبيه أو مثيل لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

رابعًا: النّكرة في سياق الشّرط

المثال	أداة الشّرط	النّكرة	الدّلالة
١. ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]	إِنْ	أحدٌ	تفيد العموم، أيّ أحد من المشركين استجارك فأجره حتى تُسْمعه كلام الله.
٢. ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ [فاطر: ٢]	ما: موصولة تتضمن معنى الشّرط	ـ رحمة ـ ممسك	- «رحمة» تفيد العموم، (عموم الرّحمة في الدّنيا والآخرة) - «ممسك» نكرة في سياق النّفي تفيد العموم كذلك، أي لا يمكن لأحد أن يمسك رحمة الله.

القاعدة العاشرة: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب

هذه قاعدة عظيمة تحصّل للعبد خير كثير وعلم غزير.

* اعلم أن الأمر في القرآن موجه للجميع، وكذلك النهي موجه للجميع، لأن القاعدة تقول: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

س/ ما معنى هذه القاعدة؟

ج/ إذا ورد لفظ عام لكنه نزل بسبب خاص، بشخص أو بحادثة معينة، فإنه يُحْمل على العموم، ولا يختص بالسبب.

الأمثلة:

المثال الأول: قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]

جاء فيها الحكم: ﴿ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾

هل نقول إنها خاصة بأوس بن الصامت وزوجته خولة؟

كلا، الآية عامة لكل رجل يظاهر من زوجته، أي يقول لها: (أنت حرام عليّ كظهر أمي)، فالحكم وإن كان قد نزل في حادثة معينة، إلا إنه عام لعموم المسلمين.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الأحزاب: ١]

والنّبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أتقى النّاس فمن باب أولى نحن جميعًا مطالبون بالتّقوى.

فالعبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السّبب.

المثال الثالث: في سورة البقرة ثلاثة عشر آية في المنافقين، هل أقول أنها ليست لي؟! كلا، ما أمن النّفاق إلا منافق، فالآيات تخاطب الجميع، حتى نحذر من أفعالهم، ولا نقع فيما وقعوا فيه. وكذلك حتى لا يُخفى علينا أمرهم في كل عصر، فهم أشدّ خطرًا من الكفار، لأن الكافر واضح، أما المنافق فهو يظهر الإيمان ويبطن الكفر، فخطره أشدّ.

المثال الرابع: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًاۙ أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٤]

هذه الآية نزلت في اليهود، لأنهم كتموا صفة النّبي ﷺ، لكنها تخاطب الجميع، فمن كتم شيئًا في أي باب من أبواب الدّين، أو غير آية أو حرفها أو فسرها على غير مرادها، فليحذر أن ينال مثل هذا العقاب..

المثال الخامس: قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦].

هذه الآية نزلت في هلال بن أميّة، حينما وجد زوجته مع رجل آخر، فذهب للنّبي ﷺ وحكى للنّبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**البيّنة وإلا حدٌّ في ظهرك**».

فنزلت آيات الملاعنة التي في سورة النور، وأصبح حكمًا عامًا لسائر المسلمين، ولم يقتصر فقط على تلك الحادثة.

لهذه القاعدة استثناء:

السّبب في القرآن نوعان:

١- سبب شخصي أو سؤال: وهذا ما تنطبق عليه هذه القاعدة: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

٢- ما كان مختصا بحالة أو وصف بعينه، فهذا لا تنطبق عليه القاعدة إلا بانطباق ذات الحالة أو الوصف، و لنر أمثلة على ذلك:

المثال الأول:

عن جابر رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ رأى رجلًا صائمًا يُظّلله الناس لما بلغ به من الإعياء والتعب، فقال النبي ﷺ: «**ليس من البرِّ الصيام في السّفر**» رواه مسلم.

س/ هل هذه قاعدة عامة؟

ج/ لا ليست كذلك، إن كنت قادرًا على الصّيام، ولم تجد تلك المشقة فالصيام خير، أما إذا وجدت مشقة كما وجد ذلك الرجل فالصيام حينئذ ليس من البر، سواء كان فرضا أو نفلا، فالأمر إذن يتوقف على الحال.

ولم يحمل هذا الحديث على العموم لوجود قرينة منعت من ذلك.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]

الكلام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. المقام المحمود: هو الشّفاعة الكبرى.

س/ هل أقول هذه عامّة للجميع؟

ج/ لا، هي خاصة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

القاعدة الحادية عشرة:

الأمر بالشيء نهيٌ عن ضده والنهيِّ عن الشيء أمر بضده

أولًا لنعلم أن الله إذا أمر بشيء، ففي مضمونه نهيٌ عن ضدّه، ولا يمكن امتثال الأمر على وجه الكمال إلا بترك الضّدّ.

أمثلة «الأمر بالشّيء نهي عن ضدّه»:

المثال الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

هذا أمر بتوحيد الله وعبادته.

س/ هل قال هنا (ولا تشركوا به شيئًا)؟

ج/ كلا، لكن عندما أمر بقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ هذا أمر من الله بعبادته وتوحيده، ففي مضمونه أنّه نهانا عن الشّرك به.

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

هذا أمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ يحْمل في مضمونه النهي عن ترك الصلاة، والنهي عن ترك الزكاة إذا حال عليها الحول.

المثال الثالث: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦].

ففي قوله: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ أمر بالإحسان و في مضمونه عدم العقوق.

أمثلة «النّهي عن الشّيء أمر بضدّه»:

المثال الأول: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

نهانا عن قول (أفّ)، ونهانا عن نهرهما.

و(أفٍ) نكرة تفيد العموم.

فإن كان النهي عن قول «أف» وهي من أقل كلمات التضجر، فالنهي عن غيرها من باب أولى، ويتضمن ذلك النهي الأمر بالإحسان والبر ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

ونحن نرى اليوم من صور العقوق ما الله به عليم.

فبادر، واجلس تحت قدمي والديك، واستغفر لهما، وعلّمهما، وابذل في سبيل إرضائهما كل غال ونفيس، واغتنم فرصتك قبل فوات الأوان.

والأمر بالإحسان للوالدين في كلّ القرآن مقرون بعبادة الله عَزَّوَجَلَّ قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾ [النساء: ٣٦]، فيالها من شرف ومكانة.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾.

المثال الثاني: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ...﴾ [لقمان: ١٨].

هذا نهي عن الإعراض بالوجه عن الناس احتقارا لهم، ويتضمن الأمر بالضد وهو التواضع لهم وخفض الجناح.

وقفة فقهية

الأمر دائمًا للوجوب، سواء أكان في القرآن أم في السّنة، إلّا إذا أتى صارف يصرفه من الوجوب إلى الاستحباب.

ما معنى الصّارف؟ أي دليل (آية أو حديث..)

مثال على ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾

[البقرة: ٢٨٢]

هنا الأمر: (فاكتبوه)، وفي الآية عشرة مؤكدات على كتابة الدين، وهي:

(فَٱكۡتُبُوهُۚ).

(وَلۡيَكۡتُب).

(كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِ).

(وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ).

(فَلۡيَكۡتُبۡ).

(وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ).

(وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ).

(وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا).

(وَٱسۡتَشۡهِدُواْ).

(وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ).

وحتى بعد التأكيدات نبه أن هذا هو السبيل الأقوم:

(ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ).

س/ هل هذا الأمر (فاكتبوه) على الوجوب أم الاستحباب؟

ج/ على الاستحباب.

س/ لماذا قلنا استحباب مع أنه فعل أمر، وجاء في الآية عشرة مؤكّدات على كتابة الدين؟

ج/ ما أخرجه من الوجوب إلى الاستحباب قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾. كما قال العلماء.

مثال آخر:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أشهد على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **غُسلُ يومِ الجمعةِ واجبٌ على كلِّ محتلِمٍ**...) أي على كل بالغ.

فأخرجه حديث آخر من الوجوب إلى الاستحباب، وهو حديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَن توضَّأَ فبها ونِعمَتْ، ومَنِ اغتَسَلَ فهو أفضَلُ**».

[رواه أبو داوود والترمذي]

فأخرجه من الوجوب إلى الاستحباب.

القاعدة الثانية عشر:

تكرار المعرفة وتكرار النكرة

عند تكرار المعرفة فالثاني هو الأول غالبًا، وعند تكرار النكرة فالثاني غير الأول غالبًا.

* الجزء الأول من القاعدة:

«إذا تكررت المعرفة فالثانية هي الأولى غالبًا (إذا خلت من القرائن)»

ما هي المعرفة؟

هي الاسم الذي يدل على مسمّى معيّن، ومن صوره:

الاسم العلم، أو المُعَرَّف بـ'ال' أو بالإضافة، أو بالنداء، أو اسم الإشارة، أو الاسم الموصول.

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفاتحة: ٦].

<ٱلصِّرَٰطَ> معرفة بـ'ال'، <صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ...> معرفة بالإضافة.

وهنا الثّاني هو نفسه الأوّل لأنّه تكرّرت المعرفة.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ﴾ [غافر: ٩]

هنا الملائكة تدعو للمؤمنين أن يصرف عنهم عاقبة السيئات.

<السيئات> الأولى مُعرفة بـ'ال' والسيئات الثانية معرفة بـ«ال».

هنا تكررت كلمة <السيئات> مرتين وهي معرفة: إذن هي نفسها.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا﴾ [الشرح: ٥-٦]

<العسر> هنا معرفة بـ'ال' في الموضعين، إذن فالأول هو الثاني، أي أنه عسر واحد.

<يسرا> هنا نكرة وكُرِّرت، إذن اليسر الأول غير اليسر الثاني، أي أن كل عُسر يُصاحبه يُسران، ولن يغلب عسر يسرين أبدًا، وهذا لتأكيد المعنى، واستشعار هذا يقوى القلب عند المحن.

* وقيل أنه يُسر في الدنيا والآخرة.

* وقيل إن اليُسر الأول مجاهدة للنفس، واليسر الثاني هو العون من الله.

* وأيضًا 'يسرًا' أتت منونة تدل على التفخيم.

إذن بعد الضيق يأتي الفرج، وبعد العسر يأتي اليسر، ومن المِحَن تأتي المِنَح.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [سبأ: ١٢]

النكرة هنا كلمة <شهر>؛ الشهر هنا مكررة، أي أن الشهر الأول غير الثاني.
التكرار لِـ<شهر> هنا يفيد أنّ الرّيح التي سخرها الله لسليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ..
تذهب في شهر، وتعود في شهر آخر غير الشهر الأول؛ أي أن ذهاب الرِّيح وعودتها في شهرين.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠]

المرض الأول نكرة، والمرض الثاني نكرة، إذن فالأول غير الثاني، لأن المرض الثاني أشد.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء: ٣٢].

النكرة هنا **كلمة <نصيب>**
تدل على أنّ نصيب النّساء يَخْتَلِف عن نصيب الرجال.

عَلَامَ تدُل كلمة «غالبًا» في القاعدة؟

تدل على أنّ هناك استثناءات.. بعض العلماء مثل الجرجاني وابن هشام قالوا إن هذه القاعدة ليست مطلقة؛ أي أن في كتاب الله ما يُفيد غير ذلك..

مثال: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].
«الإحسان» الأولى معرفة، والإحسان الثّانية معرفة كذلك.
لكن!.. **هل الإحسان الثّاني هو الأول؟**
الإجابة: لا.
إذن هي خالفت القاعدة؛ لأن الإحسان الأول هو العمل، والإحسان الثاني هو الأجر والثواب من الله سبحانه.

مثال آخر على الاستثناءات:
قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨]
<الحُرّ بالحُرّ> 'والعبدُ بالعبدِ' 'والأنثى بالأنثى'.. كلها هنا معرفة.. لكن الحرّ الأوّل غير الثاني.. الحرّ الأول هو القاتل، والحرّ الثّاني هو المقتول.
وكذلك 'العبد' الثاني غير الأول، و'الأنثى' الثانية غير 'الأنثى' الأولى.

مثال آخر: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ...﴾ [الزخرف: ٨٤]

أين النكرة هنا؟ النكرة هنا كلمة «إِلَٰهٌ»
هل أقول أنّ الإله الذي في الأرض غير الإله الذي في السماء؟
حاشا وكلا، فهو سبحانه إله واحد جَلَّ جَلَالُهُ..
لأن كلمة <هو> في الآية:.(وهو الذي..) تعود إلى إلهٍ واحد؛ أي أن ألوهيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثابتة في السماء وثابتة في الأرض.

القاعدة الثالثة عشر: خَتْمُ الآيات بأسماء الله الحسنى تدل على أن الحكم المذكور له تعلق بذلك الاسم الكريم وأن الاسم له تعلق بالحكم

لو تتبعنا جميع الأسماء في نهاية الآيات وجدناها تدلّ على الحُكم، والحُكم يدلّ على الاسم، وهذا يدل على أنّ الخلق والحكم والأمر صادرٌ عن أسمائه الحسنى وصفاته لتظهر أسماء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في الوجود.

المثال	اسم الله الذي ختمت به الآية	التّعليل
﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]	لماذا جاء «عزيز حكيم» ولم تأت «غفور رحيم»؟	الآية فيها قطع يد ونكال.. والآيات الّتي سبقتها عن الكفّار؛ فكان يناسبها عِزّة الله وحِكمَتُه، لذا خُتِمت بهذين الاسمين العظيمَين. عَزّ فحَكَم فقَطَع

مثال آخر: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧]

<فتاب عليه' يناسبها اسم 'التّوّاب' وتناسبها 'الرّحمة'؛ لذلك خُتمت بالتَّوَّاب الرّحيم... والواو مشدّدة، أي كثير التّوبة.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

ختمت بـ<السميع العليم>

لماذا ختمت بالسّميع العليم؟

لأنّهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا يقومان ببناء البيت، ويتوَسّلان إلى الله بهذين الاسمين.. إنك أنت السميع لدعائنا. العليم بنياتنا وحالنا.. فهذا يكون أدْعَى وأحرى للإجابة.. فهذا الختام مناسب للدعاء.

مثال آخر: ﴿وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]

هنا دعاؤهم 'وَهَبْ لنا'.. طلبوا من الله الهبة، وطلب الهبة يكون عندما يفقد الإنسان الأسباب.. فالهبة عطاء من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. يناسبه اسم الله 'الوهاب'.

إذن نحن نناجي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ باسمٍ من أسمائه يناسب حالنا..
كأن نقول <يارزاق ارزقنا> <يارحمن ارحمنا> <ياشافي اشفنا> <ياغفور اغفرلنا>..فهذا يكون أدعى وأحرى للإجابة.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢]

ما علاقة اسمي <العليم الحكيم> بالآية؟

هنا الملائكة نفوا جنس العلم عن أنفسهم لأن الله هو العليم الحكيم.
قالوا <لا علم لنا>..'علم' جاءت نكرة في سياق النهي أو النفي تفيد العموم
وهذا خُلق عظيم وتأدُّب مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، نتعلم منه أن من لا يعلم فلا يستحي أن يقول: (لا أعلم).

مثال آخر: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]

لماذا قال هنا <العزيز الحكيم>؟

لأنه ليس مقام رحمة ولا استعطاف، بل كان مقام غضب وانتقام؛ لذلك ناسبه العزة والحكمة؛ لأنهم أشركوا بالله وجعلوا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إله.. بعد أن أنزل الله عليهم البينات والآيات، الدالة على وحدانيته سبحانه..

إذن علينا أن نقف مع أسماء الله الحسنى، وما كان القرآن إلّا ليظهر اسم الله في الوجود.

علينا جميعًا أن نتعلم تدبر أسماء الله الحسنى، ونتعبّد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بمقتضاها؛ فإنها تثمر في قلوبنا المحبة له سبحانه والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء فيما عنده..

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبل منا، وأن يرزقنا التعبد له بمقتضى أسمائه وصفاته، وأن يغفر لنا ويرحمنا وأن ينفع بهذه القواعد أمة الإسلام والمسلمين..

القاعدة الرابعة عشر:

التعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع

أمثلة من الآيات:

المثال	ما نوع الفعل؟	ماذا يفيد؟
١. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩]	نُفِخَ فعل ماض	يفيد تحقق وقوعه وقربه، وأنه واقع لا محالة.
٢. ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]	جاءت فعل ماض	يدل على المستقبل، ويفيد بأنه مُتحَقّق الوقوع، أي واقع لا محالة.
٣. ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ [الانشقاق: ١]	انشقّت فعل ماض	يدلّ على تحقق انشقاق السّماء يوم القيامة، وأنّه واقع لا محالة.
٤. ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ [ق: ٣١]	أُزلفت فعل ماض	«أُزْلِفَت»: معناها قَرُبَت.. وهذا الفعل رغم أنه لم يحدث بعد.. وعُبِّر عنه بصيغة الماضي.. يفيد أنه واقع لا محالة، وأنه حق مقطوع به سيحدث يوم القيامة.
٥. ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١]	أتى فعل ماض	- وكأن القيامة قد قامت فعلا رغم أنها لم تأت بعد،.والقرينة هي: «فلا تستعجلوه» - يفيد تحقق الأمر، وأنه واقع لا محالة، وأنه آتٍ، وأنه مقطوع به. -وعِلمنا أنه واقع لا محالة يجعلنا نكون على استعداد لهذا الأمر العظيم بما يرضي الله عنا.

المثال	ما نوع الفعل؟	ماذا يفيد؟
٦. ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]	كُوِّرت فعل ماضٍ	كورت: أي لُفّت وانطفأت وذهب نورها. هي لم تكور بعد، ولكن تفيد أن هذا الأمر حق لا يمكن تغييره، وأنه مقطوع به، وأنه واقع لا محالة.
٧. ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾	أعطيناك فعل ماض	«أعطيناك» جاء بالفعل الماضي رغم أنه لم يحدث.. لتحقق هذا العطاء للنبي ﷺ يوم القيامة، وأنه حق ومقطوع به لا محالة.
٨. ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا...﴾ [الزلزلة: ١-٣]	'زلزلت' 'أخرجت' 'قال' أفعال ماضية	لم يحدث هذا بعد! ولكن! أنه حق واقع لا محالة؛ يبعث في القلب الخوف الذي يثمر عملا..فسيحدث لا محالة زلزلة الأرض.
٩. ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]	'سِيقَ' 'جاءُوها' 'فُتِحت' 'قال'	أفعال ماضيّة تدلّ على تحقّق الوقوع. اللهم اجعلنا منهم.

القاعدة الخامسة عشر:

عطف اللفظ الخاص على اللفظ العام يدل على أهمية الخاص أو فضله

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]

«الملائكة» هنا لفظ عام، عطف عليه «جبريل» و«ميكال»، وهم من الملائكة أيضًا، وهذا لبيان شرفهما وفضلهما، وفيها كذلك ردّ على اليهود -فإنهم كانوا يدّعون عداوة جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ.

مثال آخر: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ...﴾ [البقرة: ٤٧]

عطف الخاص الذي هو التفضيل «فضلتكم» على العام الذي هو النعمة «نعمتي». لأن التفضيل هذا نعمة كذلك.

مثال آخر: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

الصلاة الوسطى قيل أنها صلاة العصر، وهي من الصلوات، فعطف اللفظ الخاص «الصلاة الوسطى» على اللفظ العام «الصلوات» يفيد أهمية هذه الصلاة.

وفي قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾

أليس الذين أوتوا العلم مؤمنين؟ لماذا خصهم؟

«أوتوا العلم» خاص عُطِف على (المؤمنين) العام تشريفًا وتعظيمًا لهم، ولبيان فضلهم.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]

إقامة الصلاة متضمنة في تمسكهم بالكتاب، لكنها عطفت عليها من قبيل عطف الخاص على العام، لبيان فضل الصلاة وعظم أجرها.

مثال آخر: قوله تعالى في فاتحة الكتاب: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

أليست الاستعانة عبادة؟ لماذا عطفها على العبادة؟

خصها لأهميتها وعِظم فضلها، فلا يستطيع الإنسان عبادة ربّه إلّا بالاستعانة به.

ومن أمثلة عطف العام على الخاص:

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٩١]

الخاص «هذه البلدة»، العام «وله كل شيء» فعطف العام على الخاص حتى لا يُظن أنه رب هذه البلدة فقط.

مثال: قوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾

«الدفء» هنا خاص عطف عليه «منافع» وهو عام.. وله دلائل كثيرة فهو يفيد العموم.

القاعدة السادسة عشر:

تقديم ما يجوز تأخيره

تقديم ما يجوز تأخيره يفيد: الاهتمام أو الحصر، تقديم المسرة أو المساءة، التشريف، الحث والحض، السببية، الكثرة، القصر والتخصيص، السبق، الترتيب.

هذا أسلوب من أساليب البلاغة، وله فوائد نعلمها من سياق الآيات، وله في القلوب أحسن وقع، وأعذب مذاق.

ونضرب أمثلة لذلك حتى يتضح الأمر:

١- دلالة القصر والحصر:

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

قدّم الجار والمجرور «وعلى الله»، لإفادة قصر أو حصر هذا التّوكّل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كلّ شؤون الحياة، قلبًا وقولا وعملًا.

مثال آخر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ﴾ سورة الروم

في أوّل سورة الروم ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾.

قدّم (لله الأمر): جار ومجرور، والتقديم هنا يفيد القصر. فلله الأمر وحده، قبل هذه الحرب وبعدها، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وعد بالنصر من قبل وقوعه، وتحقق وعده، وكانت هذه من دلالات النبوة.

٢- دلالة الأهمّيّة:

مثال: قال ربّ العالمين: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢].

بدأ بالجار والمجرور: «وفي السمآء»، ليدلّ على أهمّيّة أو تأكيد طلب الرزق من الله وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، إذن رزقك من الله، فلا تقل: إن فلانًا منع رزقي أو ضيق علي، فالله هو الرزاق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، لا تعلق قلبك ببشر، ولكن علق قلبك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الرزق وتوكل عليه.

مثال آخر: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ﴾ [التحريم:١١].

س/من هي التي قالت؟ آسية امرأة فرعون.

س/ ماذا قدّمت؟

ج/ قدّمت (عندك) على (البيت)، فلم تقل <رب ابن لي بيتا عندك>، فالاهم هو جوار الله! فهذا شيء عظيم!

٣- دلالة المسرّة:

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [التوبة:٤٣].

بدأ بـ:(عفا الله عنك)

س/ لماذا قدّم العفو؟ ج/ لمسرّة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مثال: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا ...﴾ سورة فاطر.

قدّم الجنّات، لم يقل: «يدخلون جنات عدن»، وإنما قال: (جنات عدن يدخلونها)، فالأصناف التي ذكرت في الآية التي قبلها: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ كلهم في النهاية سيدخلونها، وقدم الجنات لمسرّة هؤلاء الذين أورثوا الكتاب وأخذوه بحقه، فعندما يمنّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليك بفهم الكتاب، وحفظ الكتاب وتدبره، هذه أعظم نعمة، هذا اصطفاء من الله فاشكر النعمة وحافظ عليها.

٤- دلالة المساءة:

المثال: قال ربّ العالمين: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ هنا قدّمَ «الويل».

س/ لماذا قدّم الويل؟

هذه الكلمة المخيفة، تهديد ووعيد، يعجل لهم ما يسوؤهم، إذن هنا أفادت تعجيل المساءة لهم.

المثال: يقول ربّ العالمين: ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

قال الإمام الطبري إن المعنى: «لهم يوم الحساب عذاب شديد»، فالتّقديم هنا للمساءة.

٦- ما يفيد التشريف:

مثال: يقول ربّ العالمين: ﴿مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [عبس: ٣٢]
س/ لماذا قدّم (لكم) على (الأنعام)؟ ج/ هذا تشريف للإنسان، فالإنسان مقدّم على غيره لأنه هو العاقل.

٧- ما يفيد السّبق (الترتيب):

مثال: يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]
تقديم (السِّنة) على (النّوم) تفيد السّبق لأنّ السِّنة تسبق النّوم.. فهي الأسبق، وكلاهما محال في حق الله.
مثال آخر: قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. هنا قدم حق الله «إياك نعبد» على حقّ العبد (الاستعانة)، لأنّ المقاصد مقدّمة على الوسائل.

لا يقتصر أسلوب القرآن على الوضوح والبلاغة والبراعة وحسن البيان فقط، ولكن أيضًا وضع الألفاظ في مواضعها وترابط النظم وانسجامه، فالحمد لله على هذا الفضل العظيم.

القاعدة السابعة عشر:

القسم يفيد التوكيد أو بيان شرف المقسم به

أو توجيه النظر للآيات الكونية أو التفضيل أو التنبيه أو التعظيم

تعريف القسم: اليمين، أو الحلف.

حروفه: الواو الباء والتاء، إضافة إلى اللام.

مثال: جاء القسم في فواتح كثير من السور، منها:

[النازعات]، [الضحى]، [التين].

الغرض من القسم: جذب انتباه السّامع، وفيه نوع من الترهيب.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أقسم بأشياء كثيرة:

١- أقسم بذاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (في خمسة مواضع من القرآن).

٢- أقسم بحياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣- أقسم ببعض مخلوقاته.

هذا اللفظ القرآني امتاز عن غيره من الألفاظ السائدة بثلاث سمات:

- جمال وقعه في السمع.
- انسجامه الكامل في المعنى.
- اتساع دلالاته.

❋ أمثلة:

المثال	المقسم به	الدّلالة
قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ١-٣].	- التين والزيتون. - طور سينين. - هذا البلد الأمين.	- توجيه النظر لما فيهما من الفوائد والنفع العظيم. - بيان فضيلة هذا الجبل وهذا البلد الأمين وهي مكة.
يقول رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢].	ربك يقسم الرب بذاته جل في علاه.	- يفيد تحقيق الخبر وتوكيده
قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]. - ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١].	السماء	- هذا القسم فيه توجيه النظر إلى الآيات الكونية حتى نتفكر ونتدبر ونتوصل للخالق العظيم.
قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٠٩].	الله عَزَّوَجَلَّ.	- هنا القسم يفيد التوكيد.
قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]		- هم ينكرون الساعة؛ فجاء القسم هنا للتوكيد.
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].	عمر النبي ﷺ وحياته	- بيان شرف النبي ﷺ وعلو قدره. قال بعض العلماء: إنّ هذه جملة اعتراضية؛ لأنها جاءت في ثنايا قصّة لوط مع قومه.

فائـدة

الجملة الاعتراضية

الجملة الاعتراضيّة:

- هي نوع من أنواع الجمل.

تعريفها: هي الجملة التي تتوسط بين أجزاء الجملة لتقريب معنى معين.

س/ لماذا سميت بالجملة الاعتراضية أو الجملة المعترضة؟

ج/ سميت جملة معترضة؛ لأن المتكلم لا يكمل جملته حتى يأتي بها، وتكون معترضة في نطقه، ولها أغراض كثيرة.

أمثلة:

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]

س/ أين الجملة المعترضة؟

ج/ (تلك أمانيهم): تبين أن ما يدعونه مجرد أماني.

قوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]

س/ أين الجملة المعترضة؟

ج/ قوله: «سبحانه».

- الغرض منها: تنزيه الله تعالى عمّا يدعونه.

قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ٢٧]

س/ أين الجملة المعترضة؟

ج/ قوله: «إن شاء الله»

- الغرض منها: تفيد توكيد الخبر وتحقيقه وليس الاستثناء.

قال ابن كثير: ليس هذا من الاستثناء في شيء.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٥-٧٦]

س/ أين الجملة المعترضة؟

ج/ قوله: «لو تعلمون».

- الغرض منها: تعظيم شأن ما أقسم به الله تعالى «مواقع النجوم» وتأكيد إجلال هذا القسم في نفوس البشر.

قال الإمام الألوسي: هو تأكيد لذلك التعظيم.

فائدة مهمة

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ له أن يقسم بما شاء وكيف شاء

لكن الإنسان لا يقسم إلا بالله

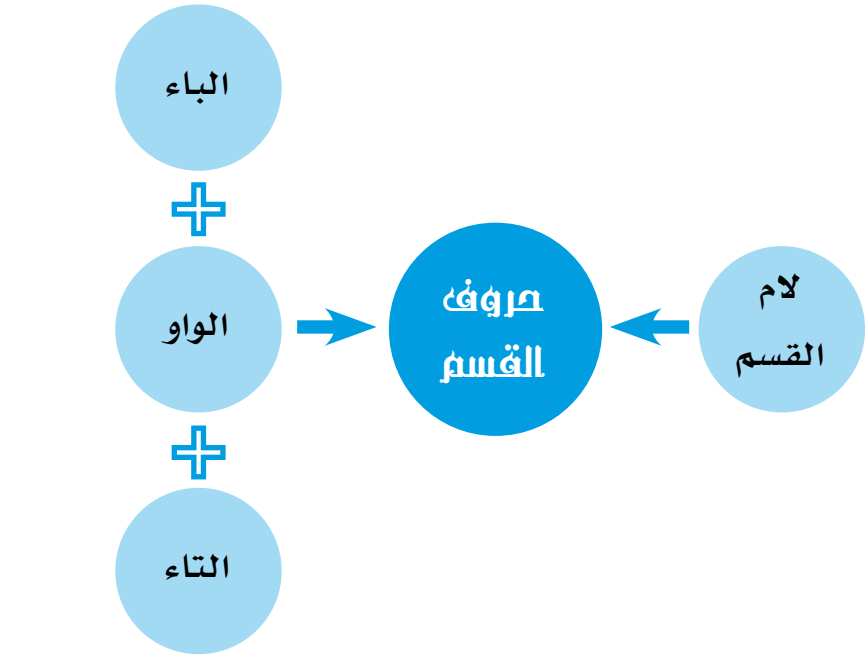
الباء
الواو
التاء
حروف القسم
لام القسم

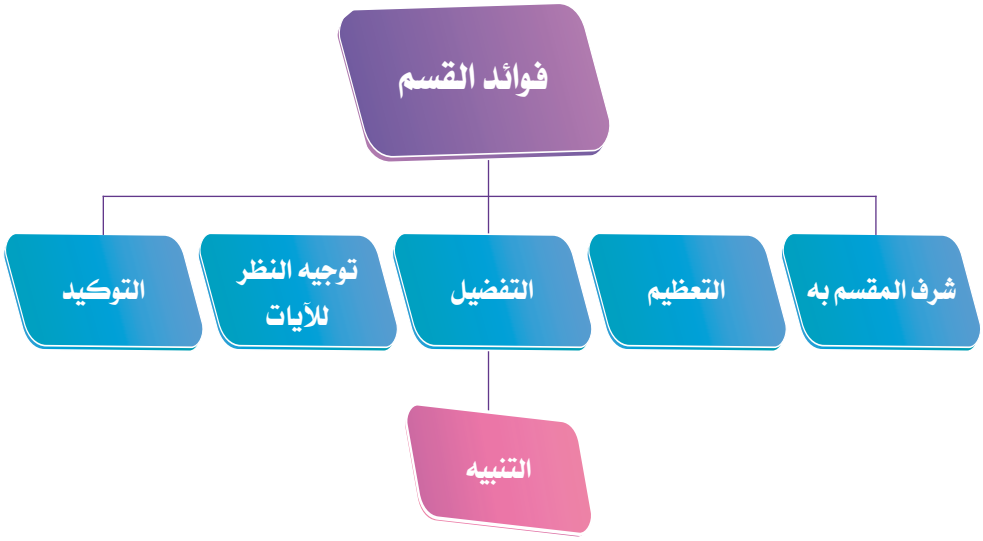
فوائد القسم
شرف المقسم به
التعظيم
التفضيل
توجيه النظر للآيات
التوكيد
التنبيه

القاعدة الثامنة عشر:

الاستفهام في القرآن

> الاستفهام في القرآن لا يكون غالبًا على سبيل الحقيقة وإنما يرد لأغراض متنوعة

القاعدة الثّامنة عشرة: هذه القاعدة لها دلالات كثيرة في القرآن.

فائدة مهمة

«لابد أن نعلم أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستفهم خلقه عن شيء أبدًا لأنه هو العليم».

الاستفهام في القرآن لا يكون غالبًا على سبيل الحقيقة، وإنما يَرِدُ لأغراض متنوعة منها: التقرير، الإنكار، التوبيخ، التعجب، التذكير، الاستبطاء، الحضّ، الحثّ، الاستبعاد، التهكم، السخرية، التّفخيم، التّهويل، التّخويف، التّكثير، النّهي، التّحقير، التّجاهل، التّكثير، التّمني، العتاب.

إذن هذه التّراكيب في القرآن في مواضعها منسجمة، ومترابطة، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لا يستفهم خلقه عن شيء، وإنّما يستفهم ليقرّرهم. وهذا أسلوب بديع من أساليب الخطاب القرآني وورد لمعان كثيرة.

س/ ما أدوات الاستفهام؟

ج/ من أدوات الاستفهام:

الهمزة، هل، ما، متى، كيف، كم، أين، أيّان، أنّى، من...

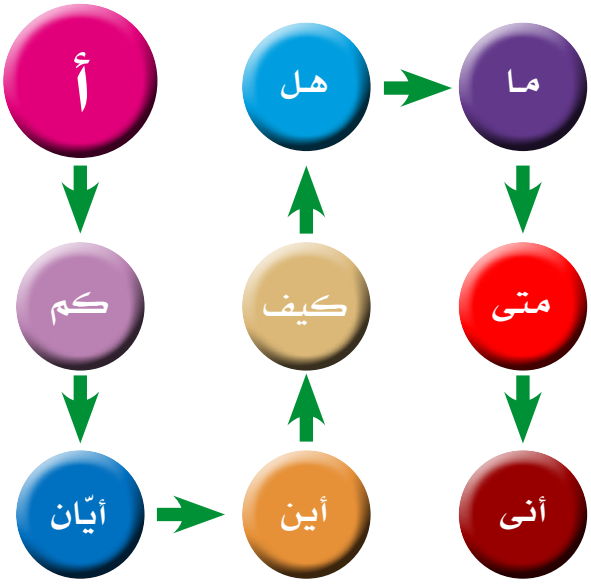

ويوجد خمس سور بدأت بالاستفهام في جزء عمّ:

١ – سورة النبأ «عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ»

٢ – سورة الغاشية «هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ»

٣– سورة الشرح «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ»

٤ – سورة الفيل «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ»

٥ – سورة الماعون «أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ»

إضافة إلى سورة الإنسان في جزء تبارك، فتكون بذلك مواضع الاستفهام في فواتح سور القرآن كله ستة.

أمثلة على قاعدة الاستفهام:

الإنكـار:

مثال: يقول رب العالمين ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [النبأ :١]
س/ ماذا يفيد هذا الاستفهام؟ ج/ يفيد الإنكار، أي ما كان ينبغي لهم أن يتساءلوا.
قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ [آل عمران :٨٣] أفاد الإنكار، أي ينكر عليهم أنّهم يريدون دينا غير دين الله.
مثال آخر: قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ﴾ [البقرة :٧٥]. – أفتطمعون؟ هذا استفهام يفيد الإنكار والاستبعاد.

التقريـر:

أي حمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمر ما.

عندما يقول ربّ العالمين: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف :١٧٢]
(ألست بربكم) هذا استفهام للتقرير؛ ليكون حجة عليهم.
✓ مثال آخر: قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر :٣٦] هذا تقرير؛ يقرر بأنه هو الكافي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.
✓ مثال آخر: يقول رب العالمين: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد :٨-٩]، يفيد التّقرير يقررنا من أجل أن نشكر الله عَزَّوَجَلَّ.
✓ مثال آخر: عندما يقول رب العالمين: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح :١]. إظهار منّة الله على النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ليقر بها. – وهذا النوع من الاستفهام كما ورد في هذه الأمثلة.. الغاية منه هو حمل العباد على الإقرار.

التوبيخ:

ويأتي للوم والزجر على ترك أمر أو فعل نهي.

١. عندما يقول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة :٤٤]

٢. مثال آخر: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات: ٩٥]
أنتم تنحتون تمثالًا ثم تعبدوه!! فهذا الاستفهام للتوبيخ.
٣. مثال آخر: ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]
أيضًا هذا الاستفهام للتوبيخ لأنّهم تركوا الهجرة من الأرض التي فيها كفر إلى الأرض التي يستطيعون أن يقيموا فيها شرع الله. وكذلك يراد به التعجب.
٤. مثال آخر: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥].
استفهام يراد به التوبيخ على دعوتهم إلهًا غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما يفيد التّعجّب:

﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢].
مثال آخر: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].
– كيف تكفرون؟ استفهام يراد به التعجب من أمر هؤلاء الكفرة.

ما يفيد العتاب:

قال رب العالمين: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].
ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ قال ابن مسعود: «ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية إلا أربع سنين!» يعاتب الصحابة!!.. فما بالنا نحن؟!
مثال آخر: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣].
هذا استفهام! لم أذنت لهم؟ يعاتب النبي ﷺ، وهذا المثال سبق معنا في [قاعدة تقديم ما يجوز تأخيره].

ما يفيد تذكير المخاطب بأمر أو شيء:

أيضًا ممكن أن يأتي الاستفهام ويكون الغرض منه تذكير المخاطب بأمر أو شيء..
مثال:قوله تعالى مخاطبًا الملائكة: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣].

ما يفيد الاستبطاء:

- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس: ٤٨].
هؤلاء الكفار يستبطئون يوم القيامة.

وقوله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ [العنكبوت: ٥٣].
نوع من الاستبطاء.

مثال آخر: ﴿فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].
- يقولون متى هو؟ أي أنهم يستبطئون هذا اليوم.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢١٤].
- المؤمنين يقولون متى نصر الله؟ إذن هذا يفيد الاستبطاء.

ما يفيد السّخريّة:

مثال: لمّا قال قوم شعيب لشعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ ساخرين منه:
﴿قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]
هذا على سبيل السخرية والتهكم.

ما يفيد الافتخار:

مثال: فرعون لما قال مفتخرًا على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ:
﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١].

ما يفيد التهويل:

مثال: قال تعالى: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ [الحاقة: ١-٣]
ومآ أدراك: استفهام يفيد التخويف والتهويل.

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥]
هنا الاستفهام يفيد كذلك التخويف والتهويل.

ما يفيد التكثير:

يقول الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٦]
الاستفهام يفيد التكثير.

ما يفيد الأمر أو النهي:

كما في تحريم الخمر وكما تعلمون أن الخمر حرمت بالتدريج، كان أخر موضع في سورة المائدة لّما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١]

هنا الاستفهام يفيد: الأمر، أي أن تنتهوا عن هذا.

ما يفيد التّرغيب:

مثال: قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]
مثال آخر: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الصف: ١٠]

ما يفيد التّحقير:

مثال: قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٧٠].
الاستفهام هنا يفيد التحقير.

ما يفيد التّمنّي:

مثال: قوله تعالى: ﴿فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ نُرَدُّ فَنَعۡمَلَ غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [الأعراف: ٥٣]. يتمنوا أن يشفع أحد لهم يوم القيامة.

ما يفيد التّفكّر:

- وأحيانًا يأتي الاستفهام للحث على التفكر والتدبر
مثال: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

- وأحيانًا يأتي الاستفهام وله معنيان أو أكثر: قد يكون للتفكر والحث أو الحض...، أو غير ذلك.
- وأحيانًا تجد في الأغراض تقاربًا، وقد تتباين رؤى المفسرين لأغراض الاستفهام وفق ما يرونه من قرائن وأدلة.

على أي حال فالاستفهام في القرآن من الأساليب الرائعة الجميلة.

وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذا الأسلوب، كما في حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «**أَلَا أُنَبِّئُكم بِخَيْرِ أعمالِكُم، وأَزْكاها عِندَ مَلِيكِكُم، وأَرفعِها في دَرَجاتِكُم، وخيرٌ لكم من إنْفاقِ الذَّهَب والوَرِقِ، وخيرٌ لكم من أن تَلْقَوا عَدُوَّكم، فتَضْرِبوا أعناقَهُم، ويَضْرِبوا أعْناقكُم؟!**» قالوا: بَلَى، قال: «**ذِكْرُ اللهِ**»(١).

- وأيضًا حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس؟**»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «**إن المفلس من أمَّتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتَم هذا، وقذف هذا، وأكَل مال هذا، وسفَك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإنْ فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار**» رواه مسلم.

- **أتدرون من المفلس؟**

بدأ باستفهام إثارةً للانتباه وللتشويق، ولتقرير المعاني.

دلالات الاستفهام

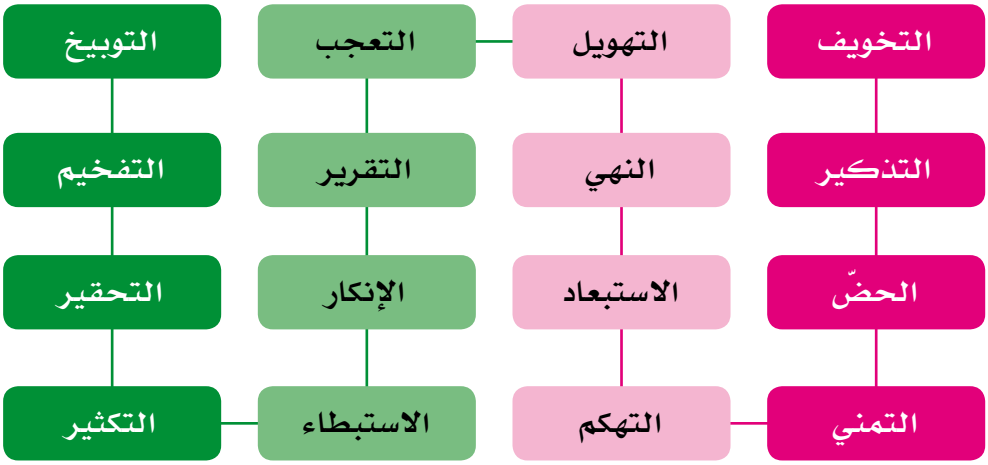

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

القاعدة التاسعة عشر:

الألف واللام الداخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس تفيد الاستغراق

س/ ما هو الاستغراق؟

الاستغراق لغةً: الاستيعاب والشّمول.

واصطلاحًا: هو استيفاء شيءٍ بتمام أجزائه وأفراده.

١- مثال: قال ربّ العالمين: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

س/ الألف واللام ماذا أفادت؟

ج/ تدخل على الأوصاف هذه لتشتمل على معاني الإسلام كله، وتشتمل على معاني الإيمان كله، وغيرها من بقية الأوصاف، وأنه بكمال هذه الأوصاف يَكْمُلُ لصاحبه ما رُتِبَ عليها من المغفرة والأجر العظيم في آخر الآية.

إذن الألف واللام تفيد استغراق هذا الوصف أو هذا الاسم.

٢- مثال آخر: قوله تعالى في سورة العصر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾

- الألف واللام: في كلمة الإنسان تفيد الاستغراق.

أي عموم الإنسان؛ أي جنس الإنسان في خسر.

٣- مثال آخر: قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]

الألف واللام في البر والتقوى تفيد استغراق جميع أنواع البر والخير.

- والتقوى: تفيد اتقاء ما يمكن اتقائه من المعاصي، والمحرمات.

كلّ أسماء الله تكون بالألف واللام تفيد استغراق هذه الصفات وكمالها وتمامها من جميع الأوجه.

- الحي. - القيوم. - الرب. - السميع.
- العزيز. - الكريم. - الشكور.

* عندما نقول «الحمد لله» يدل على استغراق الحمد كله لله.

* في التحيات عندما نقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فإننا نسلم على كل عبد صالح في السماء والأرض من أحياء وأموات وجن وإنس وغيرها.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فإنكم إذا قلتم** -وفي رواية **إذا فعلتم**- **ذلك فقد سلمتم، على كل عبد لله صالح في السماوات والأرض**» متفق عليه.

* السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:

- **السلام:** تعني السلامة من الشرور والنقائص والآفات وغيرها.
- **الرحمة:** تعني الحصول على الخير.
- **البركات:** تدل على البركة، أي كثرة الخير واستمراره ودوامه.

فتحية الإسلام هي تحية أهل الجنة، دار السلام، والسلام من أسماء الله -تعالى-.

القاعدة العشرون:

قاعدة المحترزات (القيود)

المحترزات في القرآن تقع في كل المواضع في أشد الحاجة إليها

قال السعدي في «القواعد الحسان» في تعريف هذه القاعدة:

«وذلك أن كل موضع يسوق الله فيه حكمًا من الأحكام أو خبرًا من الأخبار فيتشوف الذهن فيه إلى شيء آخر، إلا وجدت الله قرَن به ذلك الأمر الذي يعلق في الأذهان، فيبينه أحسن بيان. وهذا أعلى أنواع التعليم، الذي لا يبقي إشكالًا إلا أزاله، ولا احتمالًا إلا أوضحه. وهذا يدل على سعة علم الله وحكمته».

وهي قاعدة جليلة عظيمة النّفع.

أمثلة:

- قال تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [النمل: ٤٨]
س/ أين المحترز؟ قوله تعالى: (ولا يصلحون).
س/ لماذا قال تعالى: (ولا يصلحون) أليست (يفسدون في الأرض) كافية؟ ج/ لا؛ لأنه قد يتوهم أو قد يقع في الذهن أنهم -أحيانا- يفسدون، وأحيانًا يصلحون، فبيّن ووضح وقال تعالى: (ولا يصلحون).
٢- مثال آخر: - عندما يقول رب العالمين: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰؤُلَاءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾ [هود: ١٠٩].
- فلا تكن في مرية: يعني لا تكن في شك مما يعبد هؤلاء.
س/ أين المحترز؟ ج/ قوله تعالى: (ما يعبدون إلا كما يعبد آباؤهم من قبل).
قد يظن ظان أو يقع في ذهن إنسان أنهم على حجة وبرهان؛ فجاء بالمحترز حتى لا يتوهم أحد أنهم في طمأنينة على قولهم وعبادتهم.

٣- مثال آخر:

- عندما يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

- ربما يتوهم أحد أن هدايته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تأتي هكذا جُزافًا من غير سبب؛ فأتى بالمحترز.

س/ أين المحترز؟

ج/ قوله تعالى: «وهو أعلم بالمهتدين» فأزال التوهم؛ أي أنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يهدى من يصلح للهداية بزكاته وخيره ممن ليس كذلك، فأبان أن هدايته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تابعة لحكمته.

٤- مثال آخر:

- عندما يقول رب العالمين: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٩١].

قد يتوهم أحد ويظن أن الله هو رب هذه البلدة التي هي مكة فقط، فزال هذا الإشكال بالمحترز.

وهو قوله تعالى: (وله كل شيء)، أي أنه جَلَّجَلَالُهُ ليس رب هذه البلدة فقط بل هو له كل شيء وربوبيته ليست قاصرة على مكة فقط.

٥- مثال أخر:

- عندما قال رب العالمين: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء: ٩٥]

س/ أين المحترز؟

قوله تعالى (غير أولي الضرر)، حتى لا يفهم أو لا يظن ظان أنهم لا يستوون مع المجاهدين، حتى ولو كانوا معذورين.

القاعدة الحادية والعشرون:

المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلى محرم أو ترك واجب

وهي من قاعدة:

(**الوسائل لها أحكام المقاصد**)

– والمعنى: إذا كان المباح يفضي إلى المحرم كان حرامًا، وإذا كان يفضي إلى الواجب كان واجبًا... وهكذا، أي ما كان وسيلة إلى شيء فله حكم ذلك الشيء.

مثال ١: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].
– فالأصل في سب آلهة المشركين أنه مباح، بل قد يجب، فإذا كان يؤدي إلى سب الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – فيصبح سب آلهتهم حينئذ محرمًا.

مثال ٢: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩].
– فالأصل في البيع والشراء أنه حلال مباح، فإذا كان يؤدي إلى ترك واجب وهو صلاة الجمعة، كان محرمًا.

القاعدة الثانية والعشرون:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

- قاعدة قرآنية عظيمة مأخوذة من كتاب الله.
- وهي قاعدة من القواعد ذات الصلة بواقع الناس اليومي وتصحح المسار إلى الله.
- هذه القاعدة القرآنية جاء ذكرها في موضعين في سورتي «النّحل» و«الأنبياء»، في سياق الحِجاَج مع المشركين الذين أُرْشِدوا -إن كانوا يجهلون هذا النبي الكريم وحقيقة ما جاء به من الدَّعوة إلى التوحيد- لأن ليسألوا من سبقهم من أهل الكتاب الذين مازال عندهم بقيَّة من علم الكتاب؛ هل هذا نبي محق فيما بلغ عن الله أم لا؟ ليجدوا عندهم الجواب الصَّحيح.. فكان هذا الأصل في الآية.. لكن كما نقول: إن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب؛ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أمر في هذه الآية من لا يعلم بسؤال أهل الذّكر عامة في كل زمان ومكان.

ومن تأمّل هذه الآية، لوجد أنّها تتضمّن عدة دلالات:.

١- الأمر بسؤال أهل العلم مدح لهم وثناء عليهم ودلالة على فضلهم، وشهادة لهم بصفة العدل، إذ لا يمكن أن يُحِيلَ الله السؤال لأحد غير عدل ؛ وهذا ثناء ظاهر وواضح في هذه الآية.

٢- دلالة على أن أعلى أنواع العلم هو العلم بشريعة الله: (فاسألوا أهل الذِّكر ...)

٣- الإنسان إذا سأل أهل العلم فقد برأت ذمته وذهبت عنه التبعة.

٤- هذه الآية تدل على أن أفضل أهل الذكر، هم أهل القرآن العالمون بتأويله.

لماذا؟ لأنه تعالى قال: (فاسألوا أهل الذِّكر) والذِّكر هنا يدل عليه أيضًا سياق الآيات في سورة الأنبياء؛ وهو عِلم الكتاب (القرآن الكريم).

ومن كان عالمًا بالقرآن فقد حاز فضلا عظيما، ولكن عليه أن يكمل علمه بفهم السُّنَّة النَّبوية على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام.

٥- فيها إشارة بالأمر بالتَّعلم.

لأن الإنسان ما بين أمرين: إمَّا أن يكون سائلًا أو مسئولًا؛ فالسائل مأمور أن يتعلم ويسأل، والمسؤول مأمور بأن يجيب، ولا يمكن أن يجيب إلا بعد أن يتعلم.

٦- هي دلالة على أنه لا يجوز أن نسأل إلا أهل العلم بشريعة الله، لأن الله خصَّ السُّؤال بهم ؛ فغير أهل الذكر وغير أهل شريعة الله لا يُسألون عنها.

٧- الاجتهاد لا يجب على جميع الناس؛ لأنه لا يمكن -عقلًا وواقعًا- تطبيقه على جميع الناس.

وهذا ظاهر؛ فإن الله تعالى قسم الناس إلى قسمين: سائل ومسؤول، فالسائل إن كان يجب عليه الاجتهاد لَأُمِر بأن يجتهد، وهذا ردّ على من رأى ذلك من بعض العلماء.. وإن كانوا قلة.

٨- بعض العلماء وسَّعوا مفهوم هذه الآية، أن يُسأل أهل كل تخصص عن تخصصهم؛ فالطبيب يُسأل في الطب، والمزارع يُسأل في الزراعة.. وهكذا.

* هذه الآية توجيه رباني من الله، إلا أننا في هذا الزمان نجد خرقًا واضحًا لهذه القاعدة، فنجد الناس يستفتون أناسًا ليسوا من أهل العلم، ولا يفرقون بين العالم والداعية، فالداعية يذكر الناس، لكن من يفتي هم العلماء، فانظروا عمن تأخذون دينكم.

كما نجد العامة يتكلمون في أمور الدين ويفتون بغير علم ولا يتورعون عن ذلك رغم عظم هذا الأمر وخطورته.

الخلاصـــة:

إن الإنسان إذا أراد أن يستفتِي، فعليه أن يذهب إلى من يظن أنه أعلم بكتاب الله، وأكثر ورعًا؛ أما العلم فمَطْلبه واضح، وأما الورع فإنه يمنع صاحبه أن يقول على الله بغير علم.. فلينظر الإنسان عمن يأخذ دينه..

■ هذه قصة ذكرها الإمام ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم» قال:

كان ربيعة بن عبد الرحمن -شيخ الإمام مالك- في مجلسه يوما، فدخل عليه أحد طلابه؛ فوجده يبكي فسأله: مالك يا إمام؟ أحدث شيء؟ أنزلت بك مصيبة؟ قال: لقد حدَّث في الإسلام؛ أُستُفتِيَ من ليس عنده علم!

* أحمد بن حمدان الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ له رسالة في هذا الباب نقل فيها كلمة ربيعة هذه وعلَّق عليها، قائلًا: إذا كان هذا ربيعة، وهو في عصر التابعين، يقول هذا، كيف لو رأى زماننا الذي نحن فيه.
* وكيف لو رأى ابن حمدان الحنبلي نفسه ما حدث في زماننا، وقد فتحت الفضائيات والمنابر الإعلامية ومواقع التواصل وغيرها من الوسائل أمام القاصي والداني، كل يتكلم في دين الله بغير علم، وبلا رقيب ولا حسيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

-صيانة الأديان أعظم أهمية من صيانة الأبدان، وإذا كانت صيانة الأبدان مهمة الأطباء، فصيانة الأديان مهمة العلماء.
- من أعظم الواجبات على ولاة الأمور ألا يُصدّروا للفتيا إلا من كان عالمًا في الدين.

- إذا أخطأ الطبيب فالضرر يقع على المريض وحده، أما خطأ العالم في الفتوى فيتضرر به ملايين المسلمين، لسهولة تناقل الفتاوى عبر الإنترنت، فلنتق الله ولا نتكلم إلا بما نعلم.

- كما أنه يجب التحذير ممن يتزيّون بزي العلماء ويتصدرون للفتوى وليس لهم من العلم إلا قليل، لأن خطرهم أعظم والفتنة بهم أشد.
- تخير لفتواك أهل العلم والفضل، لأن هناك دقائق لا يحسنها إلا العالم، مثل أمور الطلاق والميراث وغير ذلك، والله الموفق لكل خير.

القاعدة الثالثة والعشرون:

النداء في القرآن الكريم

«النّداء في القرآن يأتي للتّنبيه وإقبال الذّهن والاهتمام بمضمون الخطاب، وقد يأتي لإظهار التّذلّل والافتقار، أو لأغراض أخرى.

وتكرار النّداء يدلّ على الأهمّيّة، أوعلى تهويل الأمر».

١- ما تعريف النداء؟

قال ابن عقيل في شرحه: «إنّ النّداء هو طلب المتكلّم إقبال المخاطَب بواسطة أحد حروف النّداء».

٢- ما حروف النّداء؟

حروف النّداء سبعة وتُستَعمَلُ لنداء القريب أو البعيد، للعاقل ولغير العاقل، وقد تحذف من الكلام.

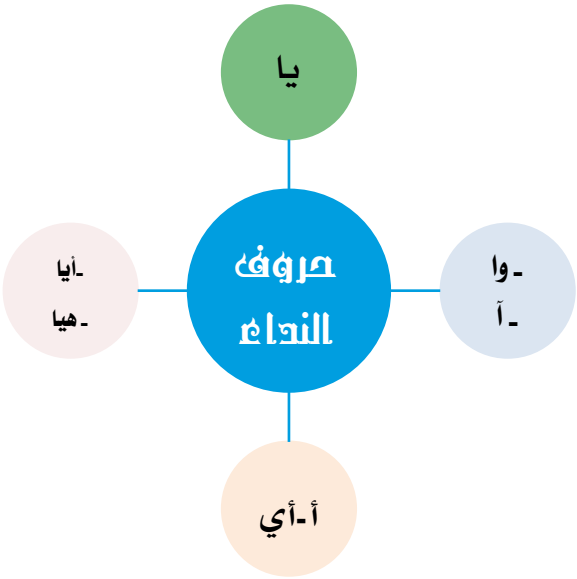

❋ النّداء للبعيد والقريب:

حرف النّداء	يُنَادى به	مثال
أ، أي	القريب	أي بنيّ
أيا، هيا	للبعيد	أيا عليّ
آ، وا	للتفجّع و التّوجّع و ينادى بها البعيد	وامصيبتاه
يا	للقريب و البعيد و هي الأكثر استعمالا	يا أحمد

❋ النّداء للعاقل ولغير العاقل:

قد يأتي هذا النّداء لغير العاقل كما قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [يوسف:١٩].

«يا بشرى هذا غلام» وهي تفيد تنبيه المخاطب؛ لأنّها جاءت بمعنى 'يا قوم أبشروا'.

قال: «يا بشرى»، **هل البشرى تُدعى أو يُنادى عليها؟**

ج/ لا، فهذه لغير العاقل.

أو ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس:٣٠].

«يا حسرة على العباد». **هل الحسرة يُنادى عليها؟**

ج/ لا، فهي لغير العاقل.

❋ حذف حرف النّداء:

هل يجوز حذف حرف النّداء؟

ج/ نعم يجوز؛ فقد يأتي النّداء بدون حرف النّداء..

أمثلة:

قال الله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [يوسف: ٢٩].

«يوسف أعرض عن هذا» حُذف حرف النداء، ولكنه هنا نداء.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

قال: «ابن أمّ» و لم يقل: «يا ابن أمّ» فحذف حرف النّداء.

وأيضًا لما قال الله تعالى على لسان «موسى عليه السلام» في سورة القصص: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٦].

«ربّ» أو «ربّنا»: حذف حرف النّداء (يا)

ما هو غرض حذفه؟

غرض الحذف بلاغيّ، وهو الإيجاز و القرب؛ يُشعِرك بأنّ ربّك قريب منك، لذلك تجد أنّ معظم النّداءات في القرآن الكريم غالبا ما تكون: (ربّ) بدون حرف النّداء (يا).

مادة النداء في القرآن:

النّداء بالأفعال ● فعل الأمر: يأتي بفعل الأمر، مثل: «نادوا» في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف:٥٢] (نادوا) فعل أمر.
● **النّداء بالفعل الماضي:** وتأتي بالفعل الماضي وهذه وردت خمسة وثلاثين مرة في القرآن. قال الله تعالى في سورة الأنبياء: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ «نادى» فعل ماض.
● **النّداء بالفعل المضارع:** وأيضا جاءت بالفعل المضارع إحدى عشرة مرة في القرآن. قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران:١٩٣] «ينادي» فعل مضارع.
● النّداء باسم الفاعل، مثل: «مناديا»... ● ويأتي أحيانا بصيغة المصدرِ... وبصيغ كثيرة في القرآن..

❋ بعض الأصناف التي جاء لها النداء في القرآن:

١- جاء للذين آمنوا:

س/ لماذا كان نداء الذين آمنوا في القرآن هو أكثر ما ورد في النداء؟

ج/ هذا النّداء ورد في تسعة وثمانين موضعا منها: سبع مرّات مصحوبا بالتّقوى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أو ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾

فرب العالمين ينادي بصفة الإيمان الّتي يعتزّ بها كلّ مؤمن، استنهاضًا لهممهم وتحفيزا لهم على الامتثال، وفعل الخير، ولأن الإيمان حيثية التكليف.

ولهذا كان ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: «إذا سمعتَ اللهَ يقولُ يا أيّها الذين آمنوا فَارْعِهَا سمعَك، فإنّه خيرٌ تُؤمرُ به أو شرٌّ تُنهى عنه». رواه البيهقي في شعب الإيمان.

إذن، ينادي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذين آمنوا بالصّفة التي تميّزهم وتربطهم بربّهم ونبيّهم، ويدلّ على أنّ الإيمان يقتضي من صاحبه أن يتلقّى أوامر الله ونواهيه بحسن الطّاعة والامتثال.

* فعليك أيها المؤمن حين تسمع نداء رب العلمين أن تستدعي سمعك وعقلك وقلبك وتخضع بكل جوارحك لما ستؤمر به، وأن تسارع بالامتثال حبًا وقربًا ورغبةً ورهبةً لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- ورد أيضًا في الدّرجة الثّانية: النّداء لعموم النّاس «يا أيّها النّاس» وذلك في عشرين موضعًا.

٣- ثمّ يأتي بعدها: النّداء للرّسول صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وذلك في خمسة عشر موضعًا.

٤- وجاء للأنبياء:

﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ [هود: ٤٨].

٥- ثمّ جاء: النّداء للإنسان، وذلك في موضعين:

سورة الانفطار: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾.

سورة الانشقاق: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ ﴾.

٦- وجاء النّداء للكفار في موضع واحد من القرآن:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

٧- وجاء النداء أيضًا للنّساء:

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٨- وجاء لبني آدم:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [الأعراف: ٣١].

٩- وجاء لبني إسرائيل:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠].

١٠- وجاء للقوم:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

١١- وجاء للنّفس المطمئنّة:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨].

١٢- وللجمادات:

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

٤- دلالات النّداء ومعانيه في القرآن الكريم:

جاء النّداء للكثير من المعاني وله أغراض بلاغيّة حسب سياق الآيات، نذكر منها:

الرّقم	النّداء	دلالته	السّورة ورقم الآية
١	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾	الإخبار عن أحكام الشّرع، للحثّ على العمل بها.	الحجّ، الآية:٧٧
	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾		المائدة:٩٠
٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	التّذكير بالنّعم ليشكروا	المائدة: ١١
	﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ﴾		طه: ٨٠

الرّقم	النّداء	دلالته	السّورة ورقم الآية
٣	﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	التّحذير	الصّف: ٦
٤	﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	التّعجّب	يس: ٣٠
٥	﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾	التّحسر والنّدم	النّبأ: ٤٠
٦	﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾	التّحدّي والتّعجيز	الرّحمن: ٣٣
٧	﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾	التّمنّي	مريم: ٢٣
٨	﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ﴾	التّهديد	الشّعراء: ١٦٧
٩	﴿وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾	الافتقار والتّذلّل	البقرة: ٢٥٠
	﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾		المؤمنون: ١١٨
	﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾		الأنبياء: ٨٣
١٠	﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	التلطّف والتّقرّب	البقرة: ١٣٢
١١	﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	التّهكّم	الحجر: ٦
١٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾	التّعظيم و التّكريم	الأحزاب: ٤٥

مخطط لأهم دلالات النداء في القرآن الكريم:

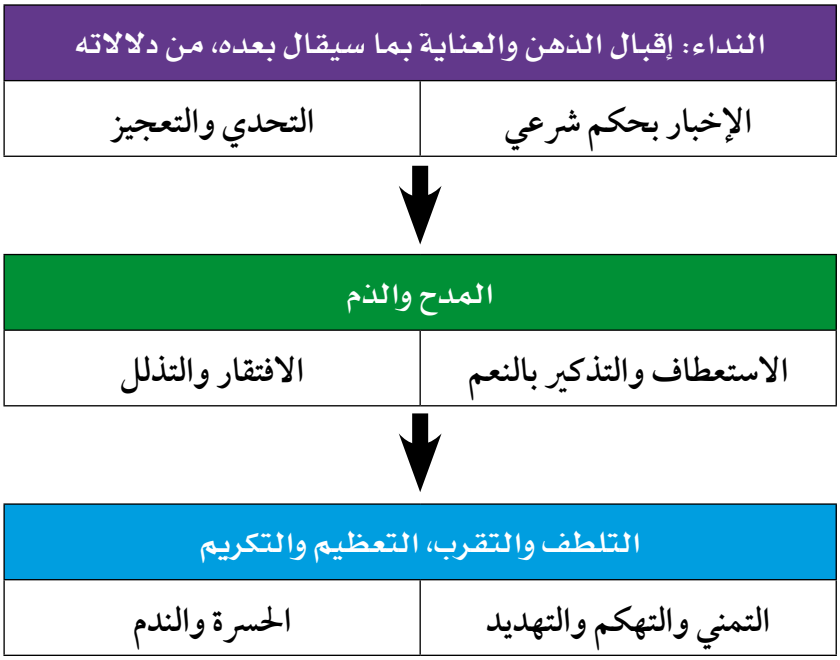

القاعدة الرابعة والعشرون:

ألفاظ العموم

القاعدة تقول: «**ألفاظ العموم مثل أسماء الشّرط، الأسماء الموصولة، كلمة <جميع> و<كلّ>، النّكرة في سياق النّهي أو النّفي أو الشّرط أو الاستفهام: كلّ هذا يفيد العموم**».

هذه القاعدة عظيمة النّفع.. تقف أمامها وأنت تقرأ القرآن أو تتدبّره.

١- الأسماء الموصولة:

فإذا رأيت اسمًا من الأسماء الموصولة مثل: 'الذي'، 'الذين'، 'اللائي' في القرآن، فاعلم أنّه يفيد العموم.

يقول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

ما: اسم موصول، ماذا أفاد هذا الاسم الموصول؟

(ما في السماوات) أفاد جميع ما في السماوات ومن في السماوات.

وأيضًا (ما في الأرض) أفاد جميع من في الأرض وما في الأرض.

يقول أيضًا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]. ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي أنّ كلّ ما في السّماوات مسخّر لنا.

ولذلك.. لو وجدنا كوكبا يصلح أن نعيش عليه، لا يُطلب دليل على جواز الانتفاع به، لأنّ هذا الكوكب في السّماء والله تعالى قد سخّر لنا جميع ما في السّموات مما ينفعنا، إذن دخلت في العموم.

والشّيء نفسه في الأرض؛ فجميع ما في الأرض مسخّر لنا، إلّا إذا أتى دليل يقول بحرمته أو بنجاسته، والتّسخير يقتضي الحكم عليه بالطّهارة، فكل ما هو مسخر هو طاهر ويجوز استعماله.

وهذه من القواعد التي تعطيك قوّة وقدرة على استنباط الأحكام، والحمد لله ربّ العالمين.

٢- أسماء الشّرط:

يقول ربّ العالمين: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

س/ أين اسم الشرط؟

ج/ هو: <من>، وهو يفيد العموم، أي أن كلّ من عمل صالحًا يدخل في الحكم.

وكلمة «صالحا» نكرة في سياق الشرط، فأفادت عموم الأعمال الصّالحة.

* ولا يوصف العمل بأنّه صالح إلّا إذا كان 'خالصا' 'صوابا'.. هذان شرطان لقبول العمل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

هذه الآية مثل سابقتها أو قريبة منها.

هنا أقف!.. كيف أتدّبر؟

«من»: اسم شرط يفيد العموم أو اسم موصول.

فدلّت الآية على أنّ كلّ من عمل صالحًا وهو مؤمن فهو داخل في هذا الوعد.

قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾.. أبشر يا مؤمن، أبشر يا موحّد.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

* من: اسم شرط يفيد العموم.
* دينًا: جاءت نكرة في سياق الشّرط فهي تفيد العموم.

عندنا قاعدتان قويّتان في هذه الآية؛ فأسماء الشّرط تفيد العموم حتّى لو لم يكن فيها نكرة.

لكن مع ذلك اجتمع الاثنان، عمومان: اسم الشّرط والنّكرة. فكلّ من يبتغي دينا غير دين الإسلام فإنّ الله لا يقبله منه، حتّى ولو كان دينا سماويا بالأصالة، فبعد الإسلام لا يُقبل إلّا الدّين الإسلاميّ.

وفي القاعدة ردّ على من يدّعي أنّه يمكن أن ننتسب إلى اليهودية أو النّصرانيّة بدعوى حرّيّة الأديان وإلى غير ذلك.

النّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والّذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثمّ يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلّا كان من أصحاب النّار**».

[أخرجه مسلم]

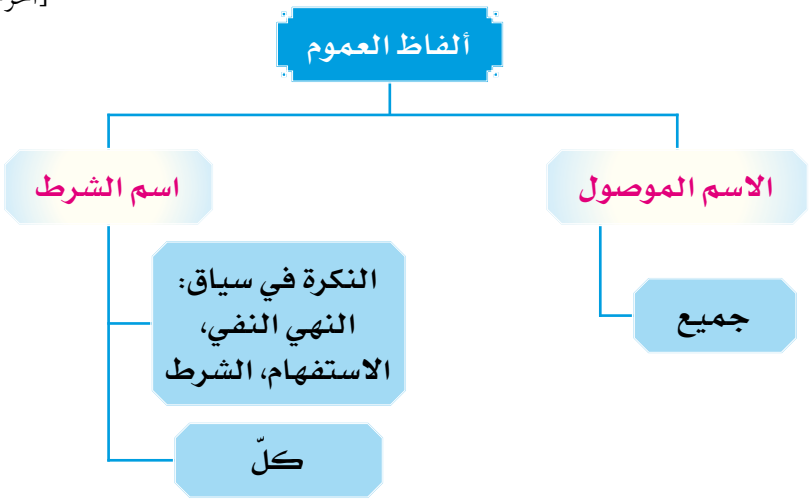

القاعدة الخامسة والعشرون:

الأصل في الكلام البقاء على الظاهر إلا بدليل

(الكلام المقصود به القرآن أو السنّة)

القاعدة بمعنى آخر:

«الأصل في الكلام البقآء على الظاهر ولا يجوز الانتقال عنه إلا بناقل».

هذه القاعدة العظيمة النفع تحفظنا من التأويل والتحريف.. إلى غير ذلك.

فالأصل في الكلام الظاهر حتى يرِد الناقل.

الناقل: هو الدليل، ينقله من القول الظاهر إلى معنى أو مفهوم آخر.

وهذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

ولا يجوز أبدًا أن نَعْدِل عن ظاهر الكلام الذي يتبادر إلى الذهن على حسب دلالات اللغة العربية إلا بقرينة.

والقرينة: أي دليل من الكتاب أو السنة يوجب الانصراف عنه، فإذا جاءت القرينة، فهو كذلك، وإذا لم ترد القرينة، فلا ننصرف عن المعنى الظاهر.

وكمثال على ذلك:

١- جاء من النصوص ما يثبت أن لله وجهًا، وأن له -تعالى- يدان، مثل قوله -تعالى-: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فالأصل البقاء على الظاهر، من أن لله تعالى وجها ويدان، وإثبات هذه الصفات له على الوجه اللائق به -سبحانه-، من غير تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف، إذ لم تأت قرينة تصرف هذه النصوص عن ظاهرها.

٢- وجاءت نصوص التي تثبت استواء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على عرشه؛ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥].

فظاهرها إثبات استواء الله على عرشه على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والأصل فيها البقاء على ظاهرها إلا بقرينة أو دليل.

٣- قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ينزل ربنا في الثلث الأخير من الليل...**» إلى آخر الحديث..

هذا النزول مضاف إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

هناك من قال إنه نزول رحمة، وليس نزولًا حقيقيًا، لماذا عدلوا عن هذا الظاهر؟ هل من قرينة مانعة لإرادة المعنى الحقيقي؟

لا، فظاهر النص الذي يتبادر إلى أذهاننا هو الذي يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. (ينزل ربنا) إذن ظاهره إثبات صفة النزول على الوجه اللائق به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

مثال: قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن القلوبَ بين إصبعين من أصابعِ اللهِ يقلِّبُها كيف يشاءُ**»(١).

الظاهر: هي أصابع، إذن إثبات الأصابع لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى على الوجه اللائق به جلّ في علاه..

* فالأصل بقاء الكلام على ظاهره، ولا يجوز لأيّ أحد أن يعدل عنه إلاّ بناقل.

مثال على الانتقال من ظاهر الكلام إلى معنى آخر بناقل:
قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا دُعِيَ أحدُكم فليجب، فإن كان صائمًا فليُصَلّ وإن كان مفطرًا فليطعم**».
س/ هل الصلاة هنا معناها الصلاة الشرعية؟ ج/ لا.. معنى الصلاة هنا ليست الصلاة الشرعية.. هنا انتقلنا من المعنى الظاهر إلى معنى آخر؛ لأنه قال بعدها (وإن كان مفطرًا فليطعم)
إذن الصلاة هنا المقصود بها هو الدعاء، فدل الدليل في نفس الحديث على الانتقال من المعنى الظاهر الذي هو «الصلاة» إلى المعنى الآخر الذي هو «الدعاء». وأيضًا بدليل آخر هو ما ورد في رواية أخرى لأبي داود في قوله (فإن كان مفطرا فليطعم وإن كان صائمًا فليدع) أي يدعو لصاحب البيت الذي دعاه إلى الطعام.

(١) صحيح الترمذي.

إذن في معنى (فليُصَلّ) هنا خرجنا من المعنى الظاهر (الصلاة) إلى معنى (الدعاء) لقرينة منعت من إرادة المعنى الشرعي، وهما الدليلان المذكوران.

* أما في حالة إذا ما صُرف المعنى الظاهر إلى غيره بلا قرينة فهذا تحريف.

س/ فما معنى التحريف؟

ج/ التحريف هو أن يُصرف الكلام عن معناه الظاهر الصحيح إلى معنى آخر بلا قرينة.

مثال: قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]

قالوا: إن كلمة (استوى) في الآية لا يراد بها ظاهرها، ولكن المقصود بها الاستيلاء، هكذا قالوا.

ونحن نعلم أن التحريف: منه تحريف لفظي، وتحريف في المعنى.

- **التحريف اللفظي:** تغيير حرف أو تغيير للكلمة نفسها؛ فقالوا بدلا من «استوى» (استولى). قاموا بزيادة 'لام' ولم يأتوا بدليل على ذلك.. وهذا تبديل وتحريف للكلم عن مواضعه.

إذن لا ننتقل من ظاهر الكلام إلى كلام آخر أو إلى معنى آخر إلا بدليل.

- **التحريف في المعنى:**

مثال: قال تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤]

يقولون ليس المراد حقيقة <اليدين> -هكذا قال المحرفون- وإنما المراد بها <النعمة> و<القدرة>؛ وانتقلوا من حقيقة الكلام الظاهر إلى معنى آخر بلا قرينة.. فهذا تحريف..

قال الله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]

فهنا لا يحقّ لأي أحد أن يصرف اللفظ في القرآن أو في السنة عن ظاهر الكلام إلى معنى آخر بدون دليل.

مثال: قال تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر:٢٢]

قال المحرفون أهل الفرق الضالة: هذا ليس مجيئًا حقيقيًا إنما المقصود <جاء أمر ربك>. وهذا تحريف، وهذا باطل.

س/ لماذا؟

ج/ لأنهم انتقلوا من ظاهر الكلام إلى معنى آخر بدون قرينة ولا دليل.

س/(وَجَاءَ رَبُّكَ) كيف فهم أهل السلف الصالح هذا المجيء؟

ج/ قالوا مجيء حقيقي يليق بجلاله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ

مثال: قال تعالى: ﴿وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة:٣٥]

<الجنة> المعرّفة بالألف واللام هذه معروفة، وهي التي سيدخلها إن شاء الله المؤمنون يوم القيامة.

إذن لا ينبغي أن نحمل هذه الكلمة على كونها بستانًا في الأرض.

س/ لماذا نقلتها من معنى «جنة الخلد» إلى معنى «جنة البستان على الأرض»؟

هذا انتقال من ظاهر الكلام إلى معنى آخر بدون دليل، ولذلك قال ابن تيمية:

(اتفق السلف على أن الجنة التي دخلها آدم هي جنة الخلد ومن قال بأنها بستان أو جنة في الأرض فإنما هو قول ساقه من أهل البدع).

إذن خلاصة القاعدة: الأصل في الكلام أن يبقى على ظاهره ولا يصرف لغيره إلا بدليل أو بناقل.

وهذه قاعدة عظيمة النفع.

القاعدة السادسة والعشرون:

الأصل في الضمائر رجوعها إلى أقرب مذكور إلا بقرينة

الأصل هو أن يعود الضمير إلى أقرب المذكورات، إلا إذا وجدت قرينة يفهم منها غير ذلك.

س/ لماذا تأتي الضمائر في القرآن؟

ج: تأتي الضّمائر في القرآن لعدّة أسباب.

١- الاختصار: والاختصار بلاغة، سواء أكان الضمير متصلًا أم منفصلًا.

المثال	الضمير	السّبب أو الفائدة
﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]	(لهم): الضمير يعود على كل كلمة في الآية	'الاختصار'.
قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]	٢٥ ضميرًا ✓ نون النّسوة ✓ هنّ	قال ابن عطية عن مكي: «ليس في كتاب الله آية تشتمل على ضمائر أكثر منها»، فليس من المعقول أن تُكرر كل هذه الأسماء، لذلك عدل عنها بضمير يعود عليها للاختصار.

٢- التفخيم والتعظيم:

المثال	الضّمير يعود على:	الفائدة والدّلالة
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]	أنزلناه: الهاء: ضمير متّصل بالفعل أنزل يعود على 'القرآن'	✓ لأنّ هذا الشّيء يكون معروفًا ومشهورًا ومعلومًا. وكأنّه يدلّ عن نفسه.. فيكني عن ذكر اسمه الصّريح بذكر شيء من صفاته. ✓ فهذا تفخيم وتعظيم لهذا القرآن، وأيضًا لشهرته.

٣- الاحتقار:

▪ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]	إنّه: الضمير المتّصل يعود على الشّيطان وهو أقرب مذكور.	يراد به الاحتقار لهذا الشيطان.
▪ ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٣-١٤]	إنّه: الضّمير المتّصل يعود عل الإنسان الكافر	الضمير يراد به التحقير لهذا الإنسان.

إذن الضمير في القرآن يرد لسبب:

التفخيم | الاحتقار | الاختصار

ولنعد إلى القاعدة: الأصل في الضمائر رجوعها إلى أقرب مذكور إلا بقرينة.

مثال: قال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

س/ على أي شيء يعود الضمير(ها)؟ هل على (الصلاة) أم على (الصبر)؟ أم على كليهما؟

ج: قال أغلب العلماء إنه يعود على (الصلاة)، وقال البعض قد يعود على (الصبر) أو على (الاستعانة)، وغيرها من الآراء. ولكن الراجح أن الضمير يعود على (الصلاة) لأنها أقرب مذكور؛ كما تعلمنا من القاعدة.

في سورة التوبة قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٦٢]

(أن يرضوه): هل الضمير هنا يعود على الله؟ أم يعود على الرسول؟

ج: الضمير يعود على أقرب مذكور وهو (الرسول) لأنه هو داعي العباد لله، وهو حجته عليهم، وهو الذي يخاطبهم.

وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ تعظيمًا، فالمعنى لا يكون تامًّا بذكر الرّسول وحده، لأنّه هو المبلغ عن الله.

مثال آخر: قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٤-٨٠]

في قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾

نلاحظ أن أقرب مذكور في الآيات هو (الكتاب المكنون).

لكن للعلماء قولان في هذا الضمير، على من يعود؟

- من العلماء من قال إن الضمير يعود على (القرآن).
- ومنهم من قال يعود على (الكتاب المكنون) لأنه المذكور الأقرب.

لكن الأرجح هو عودة الضمير على (الكتاب المكنون)، لأن (المطهّر) هو الذي طهّره الله عَزَّوَجَلَّ

ولو كان الضمير عائدًا على (القرآن) لقال (المتطهّرون) بزيادة التاء، فالمتطهِّر هو الذي يحتاج إلى طهارة، لذلك زيدت فيها التاء.

وأما المُطهّر فهو الذي طهّره الله ولا يحتاج إلى فعل الطهارة.

والدليل: في قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]

(يطهُرن): يشير إلى انقطاع الحيض، فانقطاع الحيض ليس بفعلهن، بل هو من الله.

(فإذا تطهّرن): وهذا يكون من فِعلهن؛ أي يقمن بالاغتسال والتطهر على الوجه الشرعي.

وكذلك دل على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]

(المتطهرون: الذين يقومون بفعل الطهارة الشرعية من اغتسال أو وضوء).

إذن: أرجح الأقوال في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ أن الضمير عائد على 'الكتاب المكنون' الذي هو أقرب مذكور.

مثال آخر: في سورة البقرة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ [البقرة:٢١٣]

ليحكم بين الناس: الضمير هنا مستتر تقديره (هو).

س/ على من يعود الضمير المستتر هذا؟ هل يعود على (الله) أم يعود على (الكتاب)؟ من الذي يحكم؟

ج: أقرب المذكورين هنا هو (الكتاب)، أي أن الضمير عائد على (الكتاب)، وهذا هو أرجح الأقوال.
ولا تعارض بين القولين، لأن ما في القرآن هو حكم الله أصالةً، فهم يتحاكمون إلى القرآن الذي فيه حكم الله.

واختلاف العلماء هو اختلاف تنوع يثري المعاني، وليس اختلاف تضاد.

في سورة الانسان قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨-٩]

(حُبّه): الضمير هنا عائد على من؟ هل على الطعام الذي هو أقرب مذكور أم عائد على الله؟

- من العلماء من قال: إن الضمير يعود على (الله) يعني (حب الله)
- ومنهم من قال إن الضمير يعود على (الطعام).

والأرجح أنه يعود على الطعام الذي هو أقرب مذكور تبعًا للقاعدة، لأنه لا توجد قرينة،
أي يطعمون هذا الطعام مع شدة حبهم واحتياجهم له، وهذا لا ينافي أنهم يقدمونه حبًا في الله.. لكن نرد الضمير إلى أقرب المذكورين على الراجح، وليس على الأحسن من المذكورين.
والله تعالى أعلى وأعلم.

س: هل الضمير دائمًا يعود إلى أقرب مذكور؟

ج: لا، إن كانت هناك قرينة فإنها تخرجه من هذه القاعدة.

الأصل في الضمائر رجوعها إلى أقرب مذكور إلا بقرينة.

مثال على ذلك: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]

(الهاء) في (عليه):

-قال بعض العلماء أنها تعود على أقرب مذكور(أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) لأنه هو الذي يحتاج إلى سكينة لما اعتراه من من خوف وقلق.. إلى غير ذلك.
أما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو دائمًا في سكينة لا يحتاج إلى سكينة تنزل عليه مجددًا.

-وقال بعض العلماء: إن الأرجح أن الضمير يعود على النبي ﷺ؛ وأن الله أنزل عليه السكينة لتزيد من ثباته، وتزيد في رباطة جأشه، وكذلك سياق الكلام بعده يدل على ذلك ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾

وأيضًا لقوله تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ فمن الذي أيده الله بجنود؟ طبعًا هو النبي ﷺ...

إذن فلمن يعود الضمير؟

نقول وبالله التوفيق: الأصل اتحاد مرجع الضمير هنا.

يعني لا يصح أن يعاد الضمير هنا إلا إلى النبي ﷺ.

مثال آخر: قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

هو سمّاكم المسلمين من قبل: يتبادر الى الذهن أن الذي سماهم هو سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه أقرب المذكورين، ولكن هناك قرينة منعت من ذلك، وهي قوله: (وَفِى هَٰذَا): «هذا» تعود للقرآن، ولم يكن القرآن في عهد سيدنا إبراهيم.

إذن يعود الضمير على الله عَزَّوَجَلَّ، وهو المذكور الأول في بداية الآية:

«وجاهدوا في الله... »، هو سبحانه من اجتباكم وسماكم المسلمين.

-مثال آخر: قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧].

فإذا هم مظلمون: قد يتوهم البعض أن كلمة مظلمون تعود على الليل والنهار وهذا فهم فاسد لسببين:

١- النهار ليس مظلمًا.

٢- الضمير في «**مظلمون**» ضمير جمع وليس مثنى، فالصّواب أنّه عائد على الكفار الذين يُحتج عليهم بالآيات.

فالأصل في الضمائر تعود على أقرب مذكور إلا بقرينة،
والله تعالى أعلى وأعلم..

هناك قاعدة تقول:

الأصل اتّحاد مرجع الضمير إلا بقرينة...

وهناك قاعدة أخرى تقول:

إذا اجتمعت الضمائر فحيث أمكن عودها لواحد فهو أولى.

أي إن كان هناك أكثر من ضمير في الآية، فالأفضل أن يرجع لشيء واحد فالأصل أن لا نفرق بين الضمائر إلا بقرينة.

مثلًا كقوله تعالى: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم: ٢٤-٢٥]

س: مَن تحتها؟ من الذي ناداها؟ هل هو جبريل؟ أم هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لمّا وضعته؟

ج: نقول: أظهر القولين أن الكلام على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

والدليل هو السياق، فالكلام كله عن عيسى عليه السلام، من أول قوله تعالى: (فحملته) أي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فانتبذت به،.أي بعيسى؛ إذن (فناداها من تحتها) الكلام على عيسى؛ فالأصل اتحاد مرجع الضمير إلا بقرينة، ولا قرينة هنا.

قال -تعالى-: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٠-٢٣]

مثال آخر:

قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿39﴾ إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ﴾ [طه:٣٩-٤٠].

قال العلماء أن في هذه الآية ضميران.. ضمير عائد على موسى وضمير عائد على على التابوت (فاقذفيه في اليمّ)..

والأرجح أن الضميران عائدان على موسى، فالأصل أن لا نفرق الضمائر، فما الذي يمنع أن يكون الكلام في قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ﴾ عن موسى، وكذلك في قوله (فاقذفيه في اليم) الكلام عن موسى أيضًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟!!

فهناك قاعدة تقول:

إذا اجتمعت الضّمائر فلا تُفَرّق..

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

القاعدة السابعة والعشرون:

ليس من شرط العمل بالمنقول العلم بحكمته

- هذه القاعدة العظيمة النفع تبين أن الواجب على المؤمن ألا يُعلق العمل بالمنقولات الصحيحة (الأوامر والنواهي المنقولة إلينا من الكتاب والسنة) على فهم العلة أو معرفة الحكمة؛ فسواء فهمنا الحكمة أو لم نفهمها ، يكفينا أن من شرعها هو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الحكيم؛ ذو الحكمة المتناهية، حكيم في شرعه، حكيم في قدره، حكيم في أمره ونهيه.
- فإن الشريعة عظيمة ومقاصدها جليلة، ومبناها على مصالح العباد في المعاش وفي المعاد، أي في الدنيا وفي الآخرة. وهي عدل كلها، ورحمة كلها، وقد أحاطت بجميع أحوال الإنسان.

– قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الله تعالى ما أعطى إلا بحكمته ولا منع إلا بحكمته).

– وقال ابن عثيمين في «القول المفيد على كتاب التوحيد»: (التعبد لله بما لا تعرف حكمته أبلغ من التعبد له بما تعرف حكمته، لأنه أبلغ في التذلل، صحيح أن الإنسان إذا عرف الحكمة اطمأنت نفسه أكثر، لكن كون الإنسان ينقاد لما لا يعرف حكمته دليل على كمال الانقياد والتعبد لله عَزَّوَجَلَّ فهو من حيث العبودية أبلغ وأكمل).

فشرع الله ينقسم إلى قسمين:

١ – قسم يظهر الحكمة منه والعلّة.

٢ – قسم تقصر عقولنا عن إدراك الحكمة منه لأنّه غلب عليه جانب التّعبد.

وهذا النّوع الثاني، عدّه الإمام الشاطبي في ما يُكرَه السّؤال عنه، مثال: لماذا جعل الله صلاة العصر أربع ركعات والمغرب ثلاث ركعات...؟

* واعلم -رعاك الله- أنّه لا يخلو أمر من أوامر الشّارع من حكمة بالغة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وإذا لم تصل أفهامنا ولم تدرك عقولنا بجلاء الحكمة من أمر ما أو من شرع ما أو من عبادة ما، فلا يعني ذلك أنّه خالٍ من الحكمة، والمسلم من شأنه التّسليم لأمر الله، والانقياد له.

- وهناك بعض النّصوص التي جاءت في النّهي عن السّؤال عن ذلك.

• يقول ربّ العالمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [المائدة: ١٠١]

• وأيضًا في الحديث الشريف: «**إِنَّ اللهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ المَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**» أخرجه البخاري.

- فالمقصود كراهة السّؤال عن الحكمة أو العلة أو عما لا يفيد السائل ولا ينفعه، لا في معاشه ولا في معاده، لا في الدّنيا ولا في الآخرة، أو السّؤال عن الغيبيات.
- أمّا الذي يسأل مستفهمًا، راغبًا في العلم ورفع الجهل عن نفسه فلا بأس.

• قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡ﴾ [الأحزاب: ٣٦]
ليس لنا اختيار فنحن عبيد لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ﴾ [الرعد: ٤١]

- هذه الأحكام الشرعية وسائر الأوامر صادرة من اللطيف الخبير الذي يعلم من خلق ويعلم ما يناسبهم. وكثير من الأوامر فيها صلاح للقلب وخضوع لله، ولا تقتصر الحكمة على المصالح الدنيوية وحسب.

أمثلة:

مثال: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

- كثير من الذين يحاولون استنباط الحكمة من الصيام، يقولون: من الناحية الصحية هو مفيد لجسم الإنسان، ومن الناحية الاجتماعية يجعلك تشعر بالفقير، وهذا لا بأس به، لكنهم يغفلون الجانب التعبدي، الذي هو أهم الجوانب، إنه الامتثال والطاعة لأمر الله تعالى.

مثال آخر:
لمّا أمر ربّ العالمين أن نغسل أيدينا بعد الاستيقاظ من نوم الليل ثلاثًا، هذا ورد في السنة.
– ما الحكمة؟ لا ندري، الحكمة تعبدّية.
لكن هل نملك أن نعطل العمل بهذا الدليل لعدم معرفتنا بالحكمة؟ **الجواب**: ليس لنا ذلك.

مثال آخر: الصلاة:
يقول البعض: إن الصلاة رياضة للجسم وتنشيط له، وفيها تنظيم للأوقات، وإخراج للطاقة السلبية.. إلى غير ذلك.
– لماذا لا نذكر أنّها عبادة لله، وقربة إلى الله، وفيها ذلّ وخضوع وانكسار لله، وصلة بين العبد وربه؟

مثال آخر: الزنا:
– محرم بآيات كثيرة جدًا، كثير من الناس يقول: الحكمة من تحريمه عدم اختلاط الأنساب، هذا صحيح، لكن ماذا لو كانت المرأة عاقرًا أو تستعمل وسائل لمنع الحمل، ماذا ستكون الحكمة حينئذ؟
إذن فالحكمة من التشريع ليست واحدة، لكنها حكم كثيرة لا نستطيع حصرها، منها في هذا المثال حفظ العرض، ..وغير ذلك.

مثال آخر:
أمرنا النبي ﷺ بالوضوء بعد أكل لحم الإبل، ما الحكمة من ذلك؟ لا نعلم، لكننا نسلّم لأمر الله ورسوله.

– إذن لا يشترط في العمل بالشرع أو بالأمر أن تفهم الحكمة أو العلة منه، فالأصل في العبادات تذلل وخضوع، وانقياد وتسليم ورجاء في الثواب والأجر، هذا هو الأصل فيها.

قال ابن القيم: «العلل في القرآن والسّنّة يزيد عن ألف موضع».

أمثلة على ما ذكرت حكمته وعلته:

مثال:
عندما شرع رب العالمين حكم اعتزال النساء في المحيض، ذكر الحكمة منه وعلّل الحُكم، وهو أنه أذى.
قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

مثال آخر:

في تحريم الخمر، قال رب العالمين: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]

- فهنا ذكر، كما قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ- السبب والحكمة في تحريم هذا، قال فيها: (أي في الخمر والميسر) مفاسد دنيوية؛ في قوله: ﴿ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ ﴾ وفيها مفاسد دينية؛ في قوله: ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾.

خلاصة القول:

أن المسلم إذا جاءه أمر من ربه فلابد أن يسمع ويطيع، تذللا وتعبدا، فما نحن إلا عباد له -سبحانه-، ليس لنا خيار في أن نفعل أو لا نفعل؛ وهذا مقتضى الإيمان، فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

القاعدة الثامنة والعشرون:

(وقولوا للناس حسنًا)

جملة قصيرة وردت في كتاب الله، لكنّها اشتملت على معانٍ عظيمة، وتحل كثيرًا من المشكلات في واقعنا المعاصر.

س/ كيف نُفَعِّل هذه القاعدة؟

ج/ الحَسَن (كما في قراءة أخرى) يشمل الحسن في هيئته وفي معناه:

* ففي الهيئة يكون الحَسَن باللطف واللين وعدم الغلظة وعدم الشدة.
* وفي المعنى بأن يكون خيرًا؛ لأن كل قول حسن فهو خير، وكل قول خير فهو قول حسن.

س/ هذه القاعدة جاءت في سياق الأوامر التي خاطب بها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بني إسرائيل، فهل هي لبني إسرائيل فقط؟

ج/ كلا؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

* وقد جاء في سورة الإسراء آية مثلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء: ٥٣] ولكل منهما عبرة ودلالة وبلاغة.
* كان المسلمون في مكة يؤمرون بهذا الأمر (وقولوا للناس حسنا) على الرغم مما وقع عليهم من أذى المشركين، وهذا له دلالته.
* هذا الأمر ليس خاصًا بمجتمع النبي ﷺ وبعهد الصحابة فقط، بل هو للأمة جميعا إلى قيام الساعة.
* وكذلك أمرت به الأمم قبلنا، ومنهم بنو إسرائيل.

س/ كيف نطبق هذه القاعدة في حياتنا؟

كم نحن بحاجة أن نُفَعِّل هذا المعنى في واقعنا!

كثيرًا ما يتعرض المسلم في حياته إلى إساءة ممن حوله، فيندفع إلى رد الإساءة بالإساءة، لكن القرآن هنا يعلم أهله الإحسان: (وقولوا للنّاس حسنا)، (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن)، ولنأخذ على ذلك أمثلة:

١ - الإحسان إلى الوالدين:

أعظم الناس وأحقهم بالقول الحسن هما الوالدان؛ وقد جاء فيهما أمر خاص حيث قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ [الإسراء: ٢٣]

٢ - الزوجين:

فالزوجة بحاجة أن تفعل هذه القاعدة وهي تخاطب زوجها، تحتاج إلى الكلمة الطيبة، وكذلك الزوج، فكثير من الخلافات تقع بين الأزواج بسبب عبارات نابية أو كلمات جافة، غليظة، فما أحوجنا للاهتداء بهذا الهدي القرآني.

٣- الأولاد:

فكما أن الأبناء مأمورون بالإحسان إلى الآباء، فكذلك على الآباء أن يحسنوا إلى أولادهم، فهذا هو الطريق الأيسر لجذب قلوبهم وتأليف نفوسهم، وتقريبهم إلى شرع الله تعالى.

وعلينا أن نكون قدوة لهم في الإحسان، فيشبوا على هذا الخلق الكريم.

٤ - في العمل:

أيضًا نحتاج هذه القاعدة مع الموظفين، أو العمال، أو شركاء العمل، ولا يعني ذلك التسيب في العمل؛ فالحزم مطلوب، لكن شتان ما بين الحزم والغلظة والشدة، الحزم والإحسان صفتان لا تتعارضان.

٥- مع الناس عامة:

فكما قلنا قد يبتلى الإنسان بمن يجهل عليه أو يؤذيه، لكن الإحسان يأسر القلوب، وهو من صفات عباد الرحمن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان: ٦٣].

القاعدة التاسعة والعشرون:

حروف الاستقبال في القرآن

(حروف الاستقبال في القرآن تفيد حصول الأمر في المستقبل)

* وحروف الاستقبال هي: السين الداخلة عن الفعل المضارع، وسوف.

- **السين**: للمستقبل القريب.
- **سوف**: للمستقبل البعيد.

أمثلة:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

س/ «سيجعل»، علام تدل السين؟

ج/ تدل على أن الله سيعطي الذين آمنوا وعملوا الصالحات محبة من عنده جلّ في عُلاه؛ فهذا وعد مؤكد من الله سبحانه الذي لا يخلف وعده، وهل هناك مودّة أعظم من مودة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟

س/ ما شروط نيل هذه المودة؟ ج/ الإيمان والعمل الصالح.

- هذه آية تشرح الصدر وتُطمئن القلب بوعد الله، لمن طبق الإيمان بشروطه، وعمل الصالحات.

* يقول الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية:

«هذا من نعمه على عباده، الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح، أن وعدهم أنه يجعل لهم ودا، أي: محبة ووداد في قلوب أوليائه، وأهل السماء والأرض، وإذا كان لهم في القلوب ود تيسر لهم كثير من أمورهم وحصل لهم من الخيرات والدعوات والإرشاد والقبول والإمامة ما حصل، ولهذا ورد في الحديث الصحيح: «**إن الله إذا أحب عبدا، نادى جبريل: إني أحب فلانا فأحبه، فيحبه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء: إن الله يحب**

فلانا فأحبوه، فيحبه أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض « وإنما جعل الله لهم ودا، لأنهم ودوه، فوددهم إلى أوليائه وأحبابه».

ولذا تجد المؤمن يحب أهل الإيمان وإن لم يرهم، فتراه يحب الصحابة والسلف الصالح، ويحب العلماء والأئمة، كالطبري وابن كثير وابن القيم، وكذلك ابن باز وابن عثيمين، وغيرهم الكثير، رحمة الله عليهم جميعًا.

- **مثال آخر:** ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

(سنقرئك)

- السين: تدل على تأكيد حصول هذا الفعل؛ بمعنى أن إقراء النبي ﷺ سيستمر ويتجدد في المستقبل القريب، فهذا وعد من الله أن تكفل بحفظ القرآن في صدر النبي الأمّي.

في هذه الآية وقفة وعبرة، وهي أن حفظ القرآن لا يكون إلا بتوفيق من الله، فالله تعالى يقول: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

والله لا نستطيع أن نحفظ حرفا من كتاب الله إلا بتوفيق من الله، فلا يحملنك حفظك على التكبر أو الغرور، تبرأ من حولك وطولك وقوتك إلى حول الله وطوله وقوته، فالأسباب بيد الله، والتوفيق منه سبحانه، ثم القبول والجزاء عنده تبارك وتعالى، فبماذا نتكبر؟!

- **مثال آخر:** ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ [النمل: ٧].

سآتيكم: - تدل على تأكيد الوعد بالإتيان.

- قال الزمخشري: إذا جاءت السين مع الوعد تدل على تأكيده، وبيان أنه كائن لا محالة وإن تأخر.

المثال	الفعل المقترن بحرف الاستقبال	دلالته
﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٥١].	سنلقي	تدل على الوعيد الشديد المؤكد وتهديد من الله. * الوعد يكون للخير والبشرى. * الوعيد يكون للعذاب والهلاك
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].	سيجزي	- السين: وعد من الله لعباده الشاكرين بالعطاء الجزيل. - وجاءت مطلقة تفيد عموم الجزاء والعطاء في الدنيا وفي الآخرة. فكن شاكرًا وحامدًا لله دائمًا على كل حال أنت فيه، فالشكر يقيد النعم الموجودة ويجلب النعم المفقودة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. * والشكر هو اعتراف القلب بنعم الله والثناء على الله بها وصرفها في مرضاته، كما قال السعدي.
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]	سيرحمهم	- هذا وعد من الله للمؤمنين بالرحمة؛ وعد محقق لا شك فيه.
﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].	فسيكفيكهم	- وعيد للكفار، وأيضًا فيه طمأنة وتسلية للنبي ﷺ، وأن وعد الله حاصل للنبي ﷺ في المستقبل.
﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].	سيجعل	- وعد من الله أنه سيعقب بعد العسر يسرًا لعباده الصابرين ووجود حرف السين يدل على قرب هذا اليسر والتيسير والفرج فمن يؤمن بهذا يطمئن قلبه وينتظر الفرج من الله تعالى وهذا من حسن الظنّ بالله.

يا أصحاب الهموم اطمئنوا وفوضوا أمركم لله، واصبروا تنالوا الأجر؛ فمن المحن تأتي المنح.

س/ ما الفرق بين سوف والسين في الدلالة؟

حرف الاستقبال	الدّلالة	مثال
سوف	١- حرف استقبال به نوع من التراخي وعدم الجزم. ٢- تستعمل للمستقبل البعيد. ٣- معناها وزمانها أوسع من السين، لأن كثرة الحروف تدل على زيادة في المعنى. ٤- تستخدم في التهديد والوعيد، وقد تستخدم في الوعد. ٥- تكرر ذكرها في القرآن ٤٢ مرة. ٦- يمكن الفصل بينها وبين المضارع إن دخلت عليه. ٧- تعطي معنى التأخير والتسويف. ٨- تقبل الاقتران باللام والفاء.	- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]. - ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٤].
السّين	١- وردت ١١٢ مرة في القرآن. ٢- وهي حرف من حروف المعاني تدل على معنى عند اقترانها بغيرها. ٣- تستعمل للمستقبل القريب، وقد تدل على التكرار والتأكيد والاستمرار. ٤- يكثر استخدامها في الوعد، وقد تأتي للوعيد. ٥- لا تدخل عليها اللام لكراهة توالي الحركات؛ وهذا قول أبي حيان. ٦- لا يُفصل بينها وبين الفعل المضارع.	﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

القاعدة الثلاثون

قال الإمام السيوطي في كتاب «معترك الأقران في إعجاز القرآن»:

«من وجوه إعجاز القرآن مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني».

س/ ما فوائد هذا العلم؟

١- يعين -بعد فضل الله- على فهم الآيات وتحديد المراد منها.

مثال:

في سورة الصافات قال الله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ [الصافات:١].

من العلماء من قال إن الصافات هي الطير، لكن جمهور المفسرين على أن الصافات هي الملائكة، وهو الراجح، واستدلوا على ذلك بالمناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها، حيث ذكر -تعالى- في نهاية السورة قول الملائكة عن أنفسهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات:١٦٥]، ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات:١٦٦] إذن الصافات هم الملائكة.

٢- معرفة أسرار التشريع وحِكمه، وإدراك مدى التلازم التام بين أحكام الشريعة (من صوم وصلاة وزكاة وتوكل .. إلى غير ذلك).

٣- يتبين به سرّ التّكرار، لا سيما تكرار القصص، كقصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ التي تكررت في كثير من السور، وأن كل قصة أعيدت في موطن فلمناسبتها ذلك الموطن.

٤- يزيل الشّك من القلب؛ فعندما يتأمل المرء في دقة النظم، وإحكام الترتيب، والترابط يزول الشك من قلبه.

فوائد علم المناسبات		
فهم الآيات وتحديد المراد منها	- معرفة أسرار التشريع. - والحكمة من الأحكام.	- تبيان سر التكرار. - إزالة الشك من القلب.

أنواع التّرابط:

١- التّرابط في السّورة الواحدة:

(أ) بين أول السورة وآخرها.

(ب) بين الآية والتي تليها.

(جـ) بين حُكمين في الآية أو في آيات.

(د) بين اسم السورة ومضمونها.

٢- ترابط بين السّورتين:

(أ) بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها.

(ب) بين مضمون السورة والسورة التي قبلها.

٣- ترابط بين سور القرآن كله:

فهناك ترابط بين السور في القرآن كله.

مثال:

الترابط بين فاتحة سورتي النّساء والحج:

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء: ١].

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

بداية السورتين واحدة، ولكن:

أول سورة النّساء تتحدث عن بدء الخلق وحياة الإنسان.

وأول سورة الحج تتكلم عن نهاية الدنيا وقيام الساعة.

أنواع الترابط:

الترابط في السورة الواحدة	
– ترابط بين أول السورة وآخرها – اسم السورة ومضمونها	– بين آيتين متتاليتين – بين حكمين في الآية أو آيات

↓

ترابط بين السورتين	
فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها	مضمون السورة والتي قبلها

↓

مناسبات عامة
علاقة بين السور في القرآن كله

س/ كيف نُوجد التّرابط أو نطلب المناسبة عِلما بأنّ هذه الآيات نزلت مُفرّقة أو مُنجّمة؟

ج/ نقل الإمام الزّركشي عن أحد مشايخه وليّ الدّين المناوي:

«وقد وَهِمَ من قال لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرِّقة...وفصل الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلًا وعلى حسب الحكمة ترتيبًا وتأصيلًا.. فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون، مرتبة سوره كلها وآياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة. ومن المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول كل شيء عن كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم، وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقت له».

وقال الشيخ محمد بن عبد الله دراز:

«إن كانت بعد تنزيلها جُمِعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مُفَرَّقَةً عن جَمْع، كمثل بنيان كان قائمًا على قواعده فلما أريد نقله بصـــورته إلى غير مكانه قدرت أبعاده ورقمت لبناته ثم فُرِّق أنقاضًا، فلم تلبث كل لبنة أن عرفت مكانها المرقوم، وإذا البنيان قد عاد مرصوصًا يشد بعضه بعضًا كهيئته أول مرة».

أمثلة:

١- مثال لرابط ظاهر بين الآيتين:

من الممكن أن يكون هذا الترابط ظاهرًا، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾ [الصافات:١٣٧] ﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الصافات:١٣٨]

أي إنكم يا أهل مكة لتمرون على مساكن قوم لوط المُهلَكين، وأنتم سائرون إلى بلاد الشام؛ أي تارة وقت الصباح وتارة عند دخول الليل، وترون بأعينكم ما حلّ بهم..

فالترابط بين الآيتين ظاهر.

٢- مثال للترابط بالتضاد:

ويمكن أن يكون هذا التّرابط بالتّضاد، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥]

مثـال آخر:

- بدأ في سورة البقرة بالمؤمنين المتقين،:

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ...﴾ [البقرة:٢] ثم بعد ذلك تكلم عن الكفار فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٦].

فالترابط هنا بالتضاد، الحكمة منه التشويق وزيادة البيان، كما قيل: «وبضدها تتبيّن الأشياء».

٣- الاستطراد:

مثال: جاء في سورة البقرة ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ...﴾ ثم سارت الآيات إلى أن قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، عاد وذكر الريب مرة أخرى.

وهذا النوع من الترابط يسمّى استطرادا: وهو الخروج من شيء؛ لغرض ما يتصل به، ثم العود لذلك الشيء الذي خرج منه.

مثال آخر: في سورة الأعراف قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦]

- قال الزمخشري: «وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها، إظهارًا للمنة فيما خلق من اللباس، ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعارًا بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى..»

٤- حسن التخلص:

مثال: قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حكاية لدعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ٨٥ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ٨٦ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٣-٨٧]

انتقل في هذه الآيات من الدّعاء إلى وصف يوم المعاد انتقالا سهلا لا يُشعر به، وهذا يسمى حسن التخلص.

س/ ما الفرق بين الاستطراد وحسن التّخلّص؟

الاستطراد هو المرور بذكر أمر معين، ثم الخروج منه إلى شيء يتصل به، ثم العودة إلى الموضوع الأول.

أما حسن التخلص فهو ترك الموضوع والانتقال لموضوع جديد، لكن ببراعة وسلاسة دون إشعار السامع بهذا الانتقال.

٥- ترابط القصص:

- من التّرابط والتّناسب في سورة القصص: قصّة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

- جاء في قصة موسى خروجه من موطنه: ﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ وكذلك أُخرج نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
- جاء الوعد لأم موسى برجوعه: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ﴾، وكذلك وعد نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرجوع: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾
- كلاهما أُمرا بعدم مظاهرة الكافرين:
- (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ فَلَنۡ أَكُونَ ظَهِيرٗا لِّلۡمُجۡرِمِينَ).
- ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]

٦- ترابط أول السورة بآخرها:

قال الإمام السّيوطي: «خواتيم السّور مثل الفواتح في الحسن».

- مثال: سورة المؤمنون رُبط أولها بآخرها:

فأولها: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، **وآخرها:** ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾

وكأنه يؤكد على هذا المعنى.

- سورة (ص):

بدأها رب العالمين بالذِّكر قال: ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾

وختمها بـ: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]

إذن هناك علاقة بين خاتمة السّورة وبدايتها.

- سورة القلم:

قال تعالى في بدايتها: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾

ثم ختمها بقوله: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ﴾ [القلم: ٥١]

تَرُدّ خاتمة السّورة على صدرها، وهذا في غاية الحسن!.

٧- الترابط بين خاتمة السورة وفاتحة ما بعدها:

مثال: بين سورتي الواقعة والحديد:

- في سورة الواقعة جاء أمر ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٩٦]

وجاء في سورة الحديد بعدها ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحديد: ١]

- بين سورتي الضحى والشرح:

ختمت الضحى بـ: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾

وافتتحت الشّرح بذكر هذه النّعم التي أُمِر النبي ﷺ بالتحدث بها: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ...﴾ إلى آخر النعم.

وهناك أدلة كثيرة في القرآن على هذا الترابط..

٨- مناسبة الحروف المقطعة لسورتها:

جاءت الحروف المقطعةفي بداية السورة بما يناسب السورة.

مثال:

- سورة (ق) ورد حرف القاف فيها ٥٧ مرة؛ لذلك ناسبها أن تبدأ بـ (ق)

- (الر) جاء في ست سور.. وجاء ترتيبها معجزًا:

- سورة يونس: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ وصف الكتاب بالحكمة.
- سورة هود: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] وصفه بالإحكام.
- ثم قال: ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ فهذا تفصيل يبين حقيقة الحِكمة والإحكام.
- سورة يوسف: ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾

وصفه بالمبين؛ ليبين أن كتاب الحكمة المحكم المفصل كتاب مبين.

- سورة الرعد: ﴿الٓمٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

حتى نتذكر الصفات الأربعة السابقة: الحكمة، الإحكام، التفصيل والإبانة.. والنتيجة أنه الحق.

- سورة إبراهيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ فبعد أن عرّف الكتاب وبيّن أهم أوصافه العظيمة، بيّن الهدف من إنزاله «لتخرج الناس من الظلمات إلى النور».

- سورة الحجر ﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ فهنا جمع ما بين المقروء والمكتوب؛ فجعل الإبانة هنا وصفا للمقروء والمتلو معا بعد أن كان وصفا للمكتوب فقط، حتى تكتمل الإبانة ويتم العمل به.

هذه السور تلفت النظر إلى قيمة القرآن بأساليب مختلفة وترتيب عجيب، حتى ختام السورة يأتي بمدح القرآن، والثناء عليه بما يليق في وصفه في بداياتها.

٩- مناسبة أسماء السور لمقصدها:

مثال: سورة البقرة.. لماذا سميت (البقرة) ولم تسم باسم آخر؟ لدلالات ومعانٍ ذكرناها في تدبّر سورة البقرة.

١٠- حسن الخواتيم:

-خواتيم السور مثل الفواتح في الحسن، ولذلك جاءت متضمنّة للمعاني البديعة، مع إيذان السّامع بانتهاء الكلام حتى لا يبقى معه تشوق النّفوس لذكر شيء بعده.

وتنتهي أحيانًا الخواتيم إمّا بدعاء أو بوصايا أو فرائض أو تحميد أو تهليل، أو وعد أو وعيد أو مواعظ... إلى غير ذلك.

أمثلة:

- سورة البقرة اختتمت بالدعاء.
- سورة ءال عمران انتهت بالوصايا.
- سورة النّساء انتهت بالفرائض.
- سورة الأنعام ختمت بالوعد والوعيد.
- سورة الأنفال ختمت بالحض على الجهاد وصلة الأرحام.
- سورة إبراهيم ختمت بالبلاغ، أي: انتهى الكلام، حسن الختام!
- سورة الحجر ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ إيذان بانتهاء الكلام.

ولننظر نظرة سريعة في القرآن كلّه ونتساءل:

س/ ما الحكمة من ختم القرآن العظيم بالمعوذتين؟ وما العلاقة بين المعوذتين وبدء القرآن بالاستعاذة؟

ج - يقول ابن جرير الطبري في تفسير عن شيخه ابن الزبير: لثلاثة أمور:

الأول:

لما كان القرآن العظيم من أعظم نعم الله على عباده، والنعم مظنة الحسد، فختم بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله.

الثاني:

إنما ختم بهما لأن رسول الله ﷺ قال فيهما: أنزلت علي آيات لم أر مثلهن قط، كما قال في فاتحة الكتاب: لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الفرقان مثلها، فافتتح القرآن بسورة لم ينزل مثلها، واختتم بسورتين لم ير مثلهما، ليجمع حسن الافتتاح والاختتام. ألا ترى أن الخطب والقصائد وغير ذلك من أنواع الكلام إنما ينظر فيها إلى حسن افتتاحها واختتامها.

الثالث:

أنه لما أمر القارئ أن يفتتح قراءته بالتعوذ من الشيطان الرجيم ختم القرآن بالمعوذتين لتحصل الاستعاذة بالله عند أول القراءة وعند آخر ما يقرأ من القرآن، فتكون الاستعاذة اشتملت على طرفي الابتداء والانتهاء، ليكون القارئ محفوظا بحفظ الله الذي استعاذ به من أول الأمر إلى آخره.

تدبر سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة لتدبر سورة الفاتحة

الحمد لله، الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة كتابه، الحمد لله الذي أنزل القرآن من فيض رحماته، وجعله هدى للسالكين، ونورًا ورفيقًا لقلوب العابدين، الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه، والحمد لله الذي أنار للسالكين سبيل مرضاته، الحمد لله حمدًا يوازي النعم، الحمد لله لذاته رب العالمين، الحمد لله لنعمه الرحمن الرحيم، الحمد لله أولًا وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، ودائمًا وأبدًا. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. أسأله جَلَّجَلَالُهُ أن يوفقنا لهداه، وأن يجعل عملنا في رضاه، وأن ينفعنا بما نقول وأن يعلمنا، وأن يزدنا علمًا.

وبعد،،

فهلموا بنا إلى رياض القرآن، لنتدارس -في ضوء ما درسناه من قواعد- إلى أعظم سورة في كتاب الله، هذه السّورة العظيمة التي جمعت بين التّوسّل إلى الله بحمده وتمجيده، والتّوسّل إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعبوديّته وتوحيده، هذه السورة التي هي عهد بينك وبين ربك، يتجدد في كل صلاة حين تقف بين يديه، فهل وعت قلوبنا لوازم ذلك العهد؟

لابد للوفاء بالعهد، من قلب يشتاق أنْسًا بسماع ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ويقف إجلالًا مع ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ وينكسر راجيًا مع ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

هل تعلم -رعاك الله- أنّها احتوت على أحبّ الكلام إلى الله وهو ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾؟ من أجل أن تتلقى هموم الحياة ومصائبها بالحمد.

هل تعلم أنّها احتوت على أعظم صفات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ حتى تظلّ الرّحمة في قلبك وتتعامل بها مع عباده؟ هل تعلم أخي الفاضل أنّها تذكّرك بأعظم وأهمّ وأخطر يوم عند الله ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾، حتّى لا تغرك المشاغل وتغفل عن ذلك الموقف الرّهيب؟

هل تعلم أنّها اختصرت سبب وجودك في الحياة؟ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ حتى لا تنسى وظيفتك الأساسية.

هل تعلم أنها احتوت على أعظم دعاء في القرآن فيه سعادتك في الدنيا ونجاتك في الآخرة ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وحتّى تستقيم عبادتك وأخلاقك ومعاملاتك طوال يومك.

فمتى سنقرأ الفاتحة بقلوبنا لا بألسنتنا؟

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ومَن ساعده التوفيق وأُعِين بنور البصيرة حتى وقف على أسرار هذه السورة وما اشتملت عليه من التوحيد، ومعرفة الذات والأسماء والصفات والأفعال، وإثبات الشرع والقدر والمعاد، وتجريد توحيد الربوبية والإلهية، وكمال التوكل والتفويض إلى مَن له الأمر كله وله الحمد كله وبيده الخير كله وإليه يرجع الأمر كله، والافتقار إليه في طلب الهداية التي هي أصل سعادة الدارين، وعَلِمَ ارتباطَ معانيها بجلب مصالحهما ودفع مفاسدهما، وأنَّ العاقبة المطلقة التامة والنعمة الكاملة منوطة بها، موقوفة على التحقق بها- أغنته عن كثير من الأدوية والرُّقَى، واستفتح بها من الخير أبوابه، ودفع بها من الشر أسبابه.»

هل علمت ما نحن فيه من خير؟!

خطوات تدبر الفاتحة

- تساؤلات حول سورة الفاتحة.
- نظرة عامة عن السورة (عدد آياتها، ترتيبها، سبب النزول، فضلها).
- مقصود سورة الفاتحة، موضوعاتها.
- أسماء سورة الفاتحة.
- لماذا هي أعظم سورة؟
- ارتباط أولها بآخرها، وارتباطها بما بعدها.
- تدبر الاستعاذة والبسملة.
- النظرة التفصيلية (في سياق الآيات وتركيبها ومعناها ودلالالتها).

نظرة شاملة عن سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿1﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿2﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿3﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿4﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿5﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿6﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾

نظرة عامة عن سورة الفاتحة

سواء أكنت معلّمًا أم دارسًا، لابد أن تبدأ بمقدمة عن السّورة ونظرة عامة؛ أي: هل هي مكية أم مدنية؟ كم عدد آياتها؟ ما ترتيبها؟ وسبب نزولها؟ .. إلى غير ذلك.

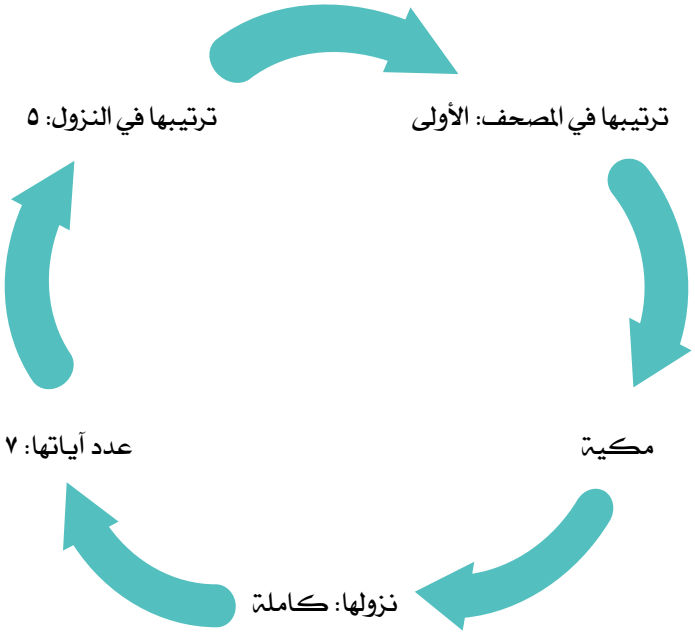

- هي الأولى في ترتيب المصحف.
- وهي مكية باتفاق الجمهور.
- وهي أول سورة نزلت كاملة؛ أي نزلت دفعة واحدة؛ ليست مفرقة.
- ترتيبها في النزول الخامسة، هذا ما اعتمده ابن عاشور وذكره الإمام السيوطي عن جابر بن زيد، ونزلت بعد المدثر.

- وقيل إنها الرابعة من حيث الترتيب.
- عدد آياتها: سبع آيات، تسع وعشرون كلمة، مائة وتسعة وثلاثون حرفًا (على اختلاف بين من اعتد بالبسملة آية أو لا).
- آيات السّورة كلها محكمة؛ ليس فيها ناسخ ولا منسوخ.

فضل سورة الفاتحة

هذه السّورة العظيمة لها فضائل عظيمة:

١- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**قال الله عَزَّ وَجَلَّ: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فإذا قال العبد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حمدني عبدي، وإذا قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ قال الله تعالى: أثنى علي عبدي، وإذا قال: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ قال: مجدني عبدي وقال مرة: فوض إلي عبدي، فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال الله: هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فإذا قال: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قال رب العالمين: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**» رواه مسلم.

الله أكبر! هل تدبرت هذا الحديث القدسي؟

وأنت تقرأ الفاتحة منذ سنين هل استشعرت هذا المعنى؟ تناجي رب العالمين وأنت تقف بين يديه فيقول لك: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

٢- عن عبد الله بن عبّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: (بينما جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قاعد عند النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سمع نَقِيضًا من فوقه، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فُتِحَ اليوم ولم يفتح قط إلا اليوم. فنزل منه مَلَكٌ، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أبشر بنُورين أُوتِيْتَهُما لم يُؤتهما نَبِيٌّ قبلك: فاتحة الكتاب، وخَوَاتِيمُ سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أُعْطِيتَهُ).

الله أكبر، ما هذا الفضل العظيم !

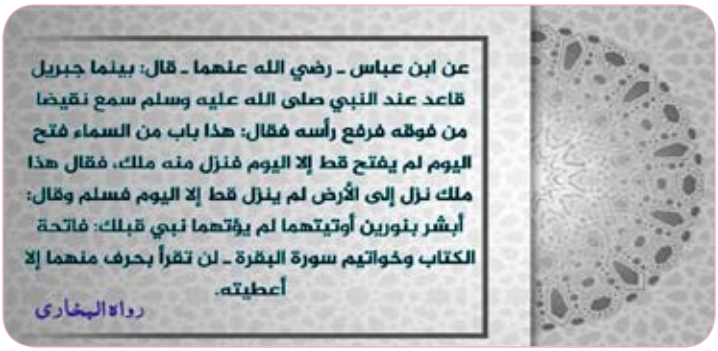

٣- من فضل هذه السورة أنه لا صلاة لمن لم يقرأ بها، أي أنها ركن من أركان الصلاة.

٤- هذه السّورة رقية شافية بإذن الله، وتذكّر حديث اللّديغ الذي رقاه أحد الصحابة بالفاتحة فشفي بإذن الله.

٥- من فضلها: أنها أعظم سورة في كتاب الله؛ كما جاء في حديث أبي سعيد بن المعلّى عن النّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسيأتي.

مقاصد سورة الفاتحة

مقصود السورة:

١ التّعريف بالمعبود تَبَارَكَ وَتَعَالَى وبيان طريق العبودية، وبيان أحوال النّاس على الطريق.

٢ تحديد معالم الدين وأصوله وفروعه ودعوة العبيد لتحقيق كمال العبودية لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من تحقق بمعاني الفاتحة علمًا ومعرفة وعملًا وحالًا فقد فاز من كماله بأوفر نصيب، وصارت عبوديته عبودية الخاصة الذين ارتفعت درجتهم عن عوام المتعبدين».

موضوعات السورة

هذه السّورة الكريمة تنقسم لموضوعات:

الرّقم	موضوع السّورة	الآية الدّالة على ذلك
١	صفات الله عَزَّوَجَلَّ	○ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ○ ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ○ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾
٢	اليوم الآخر، يوم الدّين	○ ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾
٣	إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة.	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
٤	التّعريف بالصّراط المستقيم طريق المهتدين بصفات الطّريق.	﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾
٥	تجنب طرق الغاويين من المغضوب عليهم والضالين.	

ما مناسبة افتتاح القرآن بسورة الفاتحة؟

الجواب:

- لأنّها جمعت مقاصد القرآن كله: فهي جامعة لكلّ خير، مانعة من كل شر؛ ويأتي التفصيل في بقية السّور.
- براعة استهلال لهذا الكتاب لأنها تنزل من سور القرآن منزلة الدّيباجة (المقدّمة).
- فيها أصول الدّين وفيها العقيدة، وفيها العبادة، وفيها التّشريع، وفيها اليوم الآخر!
- فيها الإيمان بصفات الله الحسنى وأسمائه.
- فيها إفراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالعبادة والاستعانة والدّعاء.

- فيها التضرع إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالتثبيت على الإيمان.
- فيها نهج سبيل الصالحين، وتجنب طريق المغضوب عليهم.
- فيها الإخبار عن قصص الأمم السابقة.

فهي تطلعنا على معارج السّعداء ومنازل الأشقياء!

هل فكرت في كل هذا وأنت تقف بين يدي ربك، أن هذه السورة العظيمة العجيبة فيها كل هذه الأسرار والدّلالات؟

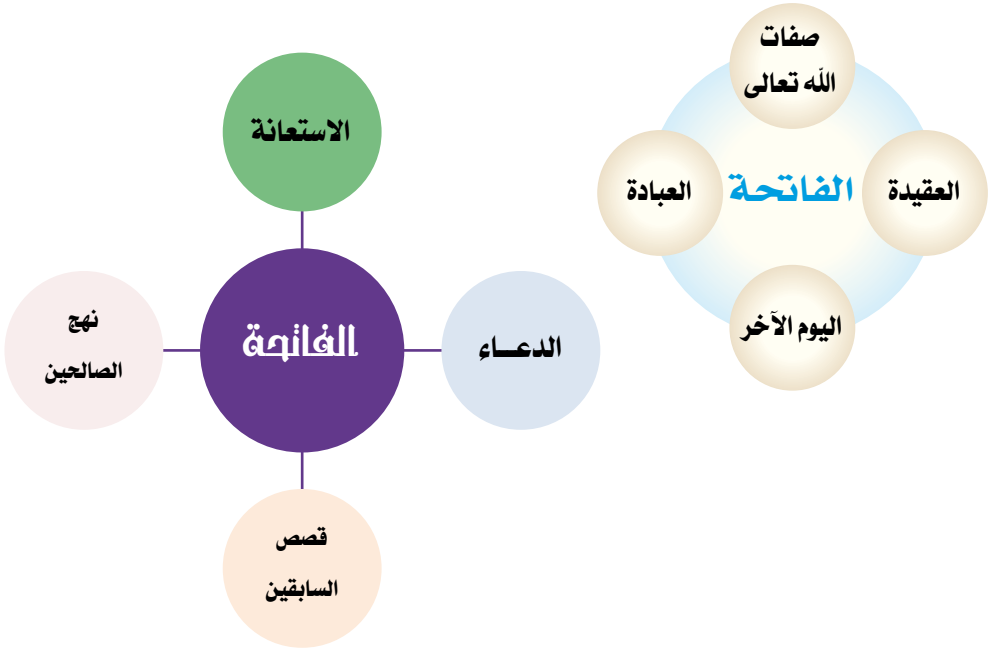

أسماء سورة الفاتحة من الكتاب والسنة

الإمام السيوطي ذكر لها أكثر من عشرين ما بين أسماء وصفات وألقاب.

١. فاتحة الكتاب: وهذا اسم توقيفي.

الدليل: قول النبي ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**». متفق عليه

مشتقة من الفتح وهو أول الشيء؛ لأن الفاتح للباب هو أول من يدخل، وكأن الكتاب كان مغلقًا وافتتح بها.

وأصل الكلمة <فاتح> الكتاب لكن أدخلت عليها الهاء <فاتحة> فنقلتها من الوصف إلى الاسم في الدلالة على ذات معينة التي هي سورة الفاتحة، وليست لتأنيث الموصوف.

ومعنى فتح الكتاب أي أن من أراد أن يقرأ القرآن من أوله فليبدأ بفاتحة الكتاب.

س/لماذا سمّيت فاتحة الكتاب؟

- لافتتاح القرآن بها.
- وفي التعليم.
- لافتتاح الصلاة بها.
- ولأنها أول سورة في اللوح المحفوظ.
- لأنها فاتحة كل كلام ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.

وقال الطبري: «وسميت «فاتحة الكتاب « لأنها يفتتح بكتابتها المصاحف، ويقرأ بها في الصلوات، فهي فواتح لما يتلوها من سور القرآن في الكتابة والقراءة».

٢. السّبع المثاني:

- هذه التسمية ثبتت في القرآن: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾
- وفي السنة؛ فعن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله ﷺ قال: «**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» رواه البخاري.

- وحديث أبي سعيد بن المعلى قال: قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد**». قال ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ فقال النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته**» رواه البخاري.

س/ ما معنى المثاني؟

ج/ ذكر الإمام السيوطي لها معنيان:

المعنى الأول: من الثناء، لأنه يُثْنى فيها على الله؛ عندما تقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هذا ثناء ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثناء.

المعنى الثاني: يُثَنّى بها في كل ركعة، أي؛ تُكرَّر وتعاد في كل ركعة.

وفي تسميتها بذلك أقوال أخرى منها:

قال القرطبي: «لأنها استثنيت لهذه الأمّة».

لأنّه اجتمع فيها فصاحة المباني وبلاغة المعاني.

لأنها نزلت على قسمين: ثناء ودعاء.

٣- ومن أسمائها: أمّ القرآن:

- جاء في صحيح البخاري أن أبا سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ رقى ملدوغًا؛ فجعل يقرأ عليه بأمّ القرآن.
- وقال رسول صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كل صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خداج**» أي منقوصة.

س/ ما وجه تسمّيتها بأمّ القرآن؟

١-ج/ لأن الأمّ يطلق على أصل الشيء ومنشئه، فجُعلت كالأم من حيث المنشأ والابتداء.

٢- لأنها تحتوي على مقاصد القرآن كله: ثناء، تنزيه الله من جميع النقائص؛ إثبات تفرده بالألوهية، إثبات البعث والجزاء؛ الأوامر والنواهي، الوعد الوعيد.

٣- لأن معانيها تشتمل على جملة معاني القرآن، الحكم والأحكام، النبوءات، المواعظ، قصص، عبادات، معاملات، أعمال قلوب، آداب ..؛ لأجل هذا كله فُرِضت قراءة الفاتحة في كلّ ركعة.

٤- لتقدمها؛ وتأخر ما سواها؛ هذا قاله الماوردي.

٥- لأنّ حرمتها كحرمة القرآن.

٦- لأنها مُحكمة، والمحكمات هن أم الكتاب، وهذا ذكره الإمام السيوطي.

٧- يبدأ بكتابتها في المصاحف وبقراءتها في الصلاة قبل السورة.

٤- سميت «الحمد»:

ليس على هذا الاسم دليل من السنة، ولكن قالوا: لأنها بدأت بالحمد فسميت سورة «الحمد».

٥- الوافية:

لأنها لا تُجزأ، تقرأ كاملة؛ أي لا تقبل التقسيم، وهذا قول سفيان ابن عيينة، لأنها وافية بما في القرآن من المعاني، وقيل لأنها جمعت بين ما لله وبين ما للعبد.

٦- الكافية:

أي تكفي في الصلاة عن غيرها ولا يكفي عنها غيرها.

فلو صليت بالفاتحة وأتيت ببقية هيئات الصلاة، فالصلاة صحيحة، أما إذا قرأت القرآن كله ولم تقرأ الفاتحة فلا يجزئك عنها، وصلاتك غير صحيحة.

٧- من أسمائها «الصلاة»:

للحديث القدسي: (**قسمت الصّلاة بيني وبين عبدي**..)، وقيل لتوقف الصلاة عليها.

٨- ومن أسمائها «الدعاء»:

لاشتمالها على الدعاء ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

ومن وصفها أنّها «رقية»:

لحديث اللديغ وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وما أدراك أنها رقية؟**» هذا أورده ابن كثير في توضيح معنى «الرقية».

١٠-وأيضًا: من وصفها «الشافية».

شافية للقلوب والأبدان.

قال ابن رجب: لها من خصوصية الشفاء ما ليس لغيرها.

١١-ووصفت بأنها جامعة:

أي: جامعة لكل معاني القرآن، ومقاصده ومعاني الدين كلها.

وقيل أيضًا هي جامعة لأن فيها صيغة الجمع «نعبد»، «نستعين»، «اهدنا».

إذن هذه كلّها أسماء وصفات، وهذا يدل على شرفها، وعلو مكانتها وقدرها وعظمتها.

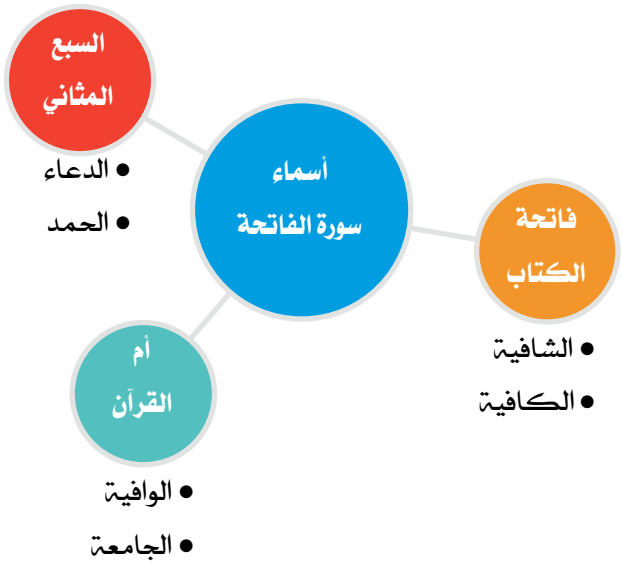

لماذا هي أعظم سورة

١- هكذا وصفها النبي ﷺ في حديث أبي سعيد بن المعلى السابق ذكره: «لأعلمنك أعظم سورة في القرآن ..».

٢- لأنها دالة على الصراط المستقيم، فهو العلم والعمل، وهذا قول ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- لأنها ركن في الصلاة، تُكرر سبعة عشر مرة في فروض اليوم والليلة، ولا تُقام الصلاة بغيرها.

٤- لأنها اشتملت على أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات.

- توحيد الألوهية: أي إفراد الله بالعبادة، ويؤخذ من قول الله ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ومن ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- وتوحيد الربوبية: أي إفراد الله بأفعاله، يؤخذ من قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
- وتوحيد الأسماء والصفات: أي إثبات أسماء الله وصفات الكمال له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ من غير تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل ولا تكييف. يؤخذ من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

٥- لأنها تضمنت إثبات النبوة:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ولا هداية دون إرسال رسول.

٦- لأنها تضمنت إثبات الجزاء على الأعمال في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

٧- لأنها تضمنت إثبات القدَر، وأن العبد بنفسه هو الفاعل للعمل، وأن الله هو الذي خلق عمله: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فالعبد له مشيئة، وله اختيار، ولكنّ مشيئته تحت مشيئة الله، خلافًا للقدرية والجبرية إلى غير ذلك...

وتضمنت الرد على جميع أهل البدع والضلال.

٨- لأنها تضمنت أعمالًا قلبية:

- الإخلاص: في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾
- الاستعانة: في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

٩- لأنّ أولها بيان استحقاق العبودية:

١- أولها العبودية لله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ عبادة.

٢- وأوسطها إقرار واعتراف، أقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إذن أنا أقر وأعترف أنني سأعبده وأستعين به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣- وآخرها وصف الطريق.

١١- أيضًا لأنها اشتملت على العقيدة والعبادة، ومنهج الحياة.

١٢- لأن فيها أركان العبادة.

س/ما هي أركان العبادة؟

ج/ المحبة، والخوف، والرّجاء.

أركان العبادة	السّؤال	الجواب
المحبّة	أين أجد المحبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الفاتحة؟	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: لأنها تشتمل على عطاء الله وإنعامه وهذا يقتضي محبة الله، لأن العطاء يورث المحبة، والنفس طبيعتها مفطورة على حب من أحسن إليها والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أحسن إلينا: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. وحتى ما لم تسأله أعطاك إياه.
الرّجاء	أين أجد الرجاء في سورة الفاتحة؟	﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: أنا أرجو رحمة الله لما أسمع ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ﴾: يفتح لي باب الرجاء في الله. لكن رحمة الله لا تنال بالأماني وإنما بالإيمان والمجاهدة.
الخوف	أين أجد الخوف؟	﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ هو الملك ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، خوف تستشعر أنك تقف بين يدي الله.

١٣- اشتملت على أسباب وأسس الهداية.

أنت يوميًا تقول: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، أجلّ المطالب وأعظمها.

لكن ما الذي قبل «اهدنا الصراط المستقيم»؟

ما الأسباب التي تأخذ بها حتى تصل إلى الهداية؟

- الحمد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾.
- الثناء: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.
- التمجيد: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.
- العبودية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- الاستعانة ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

* ولذلك تعلمنا من هذه الفاتحة أن نبدأ بالحمد والثناء على الله في الدعاء، وبمناجاته بأسمائه الحسنى، ثم الصلاة على النبي، ثم ادع لنفسك بما تريد، وابدأ بالدعاء للآخرة.

١٤- أيضًا تحتوي على خمسة من أسماء الله الحسنى:

<الله - ربّ العالمين - الرّحمن - الرّحيم - مالك يوم الدّين>.

١٥- أيضًا هي أعظم سورة لأنها تثبت الميعاد وجزاء العباد ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

١٦- أيضًا تحتوي على أركان الإسلام الخمسة.

في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ كيف ستعبد؟ بشهادة التوحيد والصلاة والزكاة والصوم والحج، وغيرها من العبادات البدنية والقلبية.

١٧- تحتوي على أركان الإيمان.

(أ) الإيمان بالله تعالى في قوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾.

(ب) الإيمان بالملائكة في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ والملائكة من العالمين.

(جـ) الإيمان بالكتب والرسل في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾: ومن رحمته أن أرسل رسلًا وأنزل كتبًا ليَدُلّك على الطريق.

وأيضًا في قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. هل يحاسبك دون أن يرسل لك الرسل، وينزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكتاب؟

(د) الإيمان باليوم الآخر : في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

(هـ) الإيمان بالقدر خيره وشره في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾.

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قدّر عليهم ومكتوب في اللوح المحفوظ، أن هؤلاء منعم عليهم، وهؤلاء سيكون مغضوبًا عليهم (اليهود) ومن على شاكلتهم، والصنف الثالث سيكونون من الضالين الذين هم النصارى، ومن على شاكلتهم.. هذا مقدر ومكتوب في اللوح المحفوظ، لأنه سبق في علمه جل في علاه ما سيعملون.

١٨- هذه السورة العظيمة اشتملت على أصناف الناس على الطريق.

١٩- هذه السّورة العظيمة فيها أمّهات النّعم.

ما معنى أمهات النعم؟

(أ) نعمة الخلق: الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ خلقنا من عدم: في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.. فإن الخلق من العدم إلى الوجود أعظم نعمة: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١].

(ب) النعمة الثانية: <نعمة تنزيل الكتاب>.

هذا القرآن العظيم نعمة من أجلّ النّعم، فمن رحمته إنزال الكتاب لهداية البشر: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

(جـ) النعمة الثالثة: هي نعمة الإيجاد الثاني.

في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ هذه نعمة؛ لأنه تعالى لابد أن يقتص للمظلوم من الظالم.

(د) النعمة الرابعة: نعمة الخلود في الجنة.

ج/ في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

هذه هي السبيل للبقاء في دار الخلود، وهذه من أجل النعم وأعظمها.

٢٠- اشتملت على أمهات المطالب العالية، وهي:

- التّعريف بالمعبود سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الألوهية والرّبوبية في ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.
- إثبات الميعاد وجزاء العباد في: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.
- إثبات النبوة.
- شفاء للقلوب.
- العبادة والاستعانة.
- الرد على المبطلين.
- مطالب عليا: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

٢١- وهي أعظم سورة، لأنّها اشتملت على أربعة أنواع من العلوم:

- علم الأصول: أصول عقيدة: وهي معرفة الله ومعرفة النبوات والميعاد.

- علم الفروع: العبادات والمعاملات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.
- علم الكمال والأخلاق في قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾. و﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.
- علم القصص والأخبار عن الأمم في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

كل هذا وأكثر في هذا السورة العظيمة، فسبحان من أنزل هذا الكتاب العظيم!

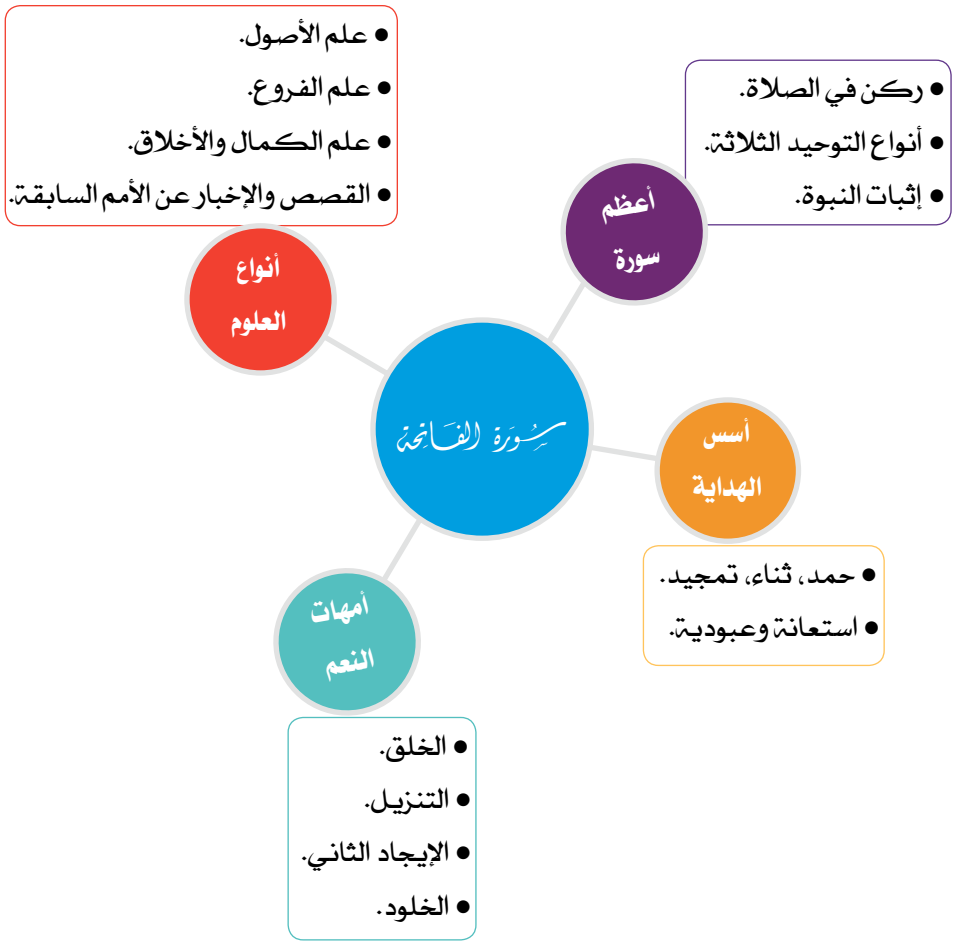

علاقات سورة الفاتحة

ننظر في مناسبات السورة انطلاقا من قاعدة العلّامة السّيوطي: (إنّ من وجوه إعجاز القرآن مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض كالكلمة الواحدة متّسقة المعاني منتظمة المباني).

أولًا- العلاقة بين أول السّورة وآخرها:

بدأت سورة الفاتحة بالحمد (الحمد لله) وانتهت بالدّعاء، وكلاهما موافق للآخر لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «.. **وأفضل الدعاء: الحمد لله**» والدّعاء إذا بُدِئ بالحمد كان أحرى بالإجابة.

وهكذا ردّ آخرها لأولها وهذا في منتهى الحسن.

«خواتيم السّور كالفواتح في الحسن»

ثانيًا- علاقة سورة الفاتحة بسورة البقرة:

نهاية الفاتحة	أوّل سورة البقرة وآل عمران
قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أجلّ المطالب.	وهو ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ «ذلك الكتاب» من سار على نهجه، وامتثل أمره، واجتنب نهيه، ومن تحاكم إليه فهذا هو الصراط المستقيم.
ختمت الفاتحة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	من هم <الذين أنعمت عليهم>؟ المتقون، في قوله سبحانه: ﴿هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾
﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ من هم المغضوب عليهم؟ اليهود ومن على شاكلتهم.	الجزء الأول من سورة البقرة كله يتحدث عن بنى إسرائيل (اليهود).
﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾.. من هم الضالون؟ هم النصارى ومن على شاكلتهم.	جاء الحديث عنهم تفصيلا في سورة آل عمران.

وقبل أن نبدأ في السّورة.. نبدأ بالاستعاذة والبسملة.

الاستعـاذة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨]

(أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)

س/ ما معنى الاستعاذة؟

معناها: أستجير وأعتصم بالله من شر الشيطان الملعون أن يُغْوِيَني أو يُضِلّني أو يصدّني عن فعل ما أُمرت به.

ألفاظ الاستعاذة:

١- أعوذ: ألجأ واعتصم واستجير.

٢- «بالله»: وهي باء الاستعانة.

٣- «من»: قيل للابتداء.

٤- «الشيطان»: بعيد عن الخير بعيد عن رحمة الله.

وقيل شيطان: من «شطن» أي «بَعُد».. وسُمّيَ بذلك لِبُعْدِه عن الحق وتمرده.

وقيل هو من «شاط» «يشيط» أي: هاج وأشتد غضبًا.

الشيطان: جاءت بالألف واللام للجنس، أي: كل متمرد عن طاعة الله، وتشمل كل الشياطين من الإنس والجن.

٥- «الرجيم»: قيل اللعين المطرود من رحمة الله.

س/ ما أركان الاستعاذة؟

ج/ من العلماء من قال: إنها أربعة، ومنهم من قال إنّها خمسة.

الرّكن الأول - صيغة الاستعاذة ولفظها:

هناك ألفاظ وصيغ وردت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهناك ألفاظ أخرى وردت عن السّلف أو عن الصّحابة رضوان الله عليهم. الصّيغ التي وردت بالكتاب والسّنة:

(أ) «أعوذ بالله من الشّيطان الرّجيم» الصّيغة المعروفة.

وهناك صيغ أخرى خصصها العلماء لقيام الليل وهي مثبتة عن النبي ﷺ.

(ب) «أعوذ بالله السميع العليم من الشّيطان الرّجيم».

(جـ) «أعوذ بالله السّميع العليم من الشّيطان الرّجيم من همزه ونفخه ونفثه».

(د) «اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم وهمزه ونفخه ونفثه».

(همزه): قيل هو الصّرع وقيل هو الجنون.

(نفخه): قيل هو الكِبر.

(نفثه): قيل هو السحر وقيل هو الشِّعر.

وهناك أيضًا صيغ وردت، ولكن غير مَرْوِية عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* قول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إن الله هو السميع العليم)

ويقال عند دخول المسجد.

* (أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم).

الرّكن الثّاني: المستعيذ

من المستعيذ؟.. هو المؤمن

الركن الثالث: المستعاذ به:

من المستعاذ به؟

<الله> سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. من استعاذ به أعاذه وأجاره وحماه، ويجوز الاستعاذة بأسماء الله الحسنى، وأيضًا بصفاته العليا، كأن أقول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق»، ولا تجوز الاستعاذة بغير الله.

الرّكن الرّابع: المستعاذ منه:

الشّيطان.

الركن الخامس: وهو المطلب الذي أريده؛ ألا وهو السلامة في ديني ودنياي من الشيطان ومن مكايده وجميع شروره (وهذا الركن أضافه بعض العلماء).

ما المواضع الذي يشرع فيها الاستعاذة؟

١- عند قراءة القرآن.

٢- عند الشبهة.

٣- عند تلبيس الشيطان في الصلاة.

٤- عند الغضب.

٥- عند رؤية رؤيا سيّئة.

٦- عند نهيق الحمار ونبيح الكلاب.

٧- إذا نزل منزلًا.

٨- عند دخول الخلاء: (اللهم إني أعوذ بك من الخُبُث والخبائث).

٩- عند وجود ألم فى الجسد (اللهم إني أعوذ بك مما أجد وأحاذر).

١٠- عند دخول المسجد.

١١- عند القيام مفزوعا من نومه.

سؤال وجواب:

تساؤلات	إجابات
لماذا قدمت الاستعاذة على البسملة؟	١. لأن الله أمرنا بها. ٢. التخلية قبل التحلية (معنى التخلية: أن أفرغ قلبي من الذنوب والمعاصي). ٣. أستعيذ حتى لا يُلبس عليّ الشيطان قراءتي، وحتى لا أُصاب بالعُجب والكِبْر بعد القراءة.
لماذا جاء التعبير فى <أعوذ> بالمضارع؟	هنا قاعدة: <الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار> والمعنى أني دائمًا أستعيذ بالله.
لماذا جاءت <أعوذ> بالمفرد؟	✓ «أعوذ»: مفرد لأنّ الشيطان خطر عل مستوى الفرد، وتدل على أنّ العدو قريب من الواحد كما يقال: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية» وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾
س/ لماذا يحذرنا الله من الشيطان؟	ج: لأن الشيطان يرانا ولا نراه.. فكانت هذه الاستعانة ليكفينا ربنا شره. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [الأعراف: ٢٧] لكن كيد الشيطان ضعيف: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ [النساء: ٧٦]

لماذا لم تكتب الاستعاذة في المصاحف؟	١. لأنّها ليست آية، ولكن الله أمرنا بها. ٢. لأن محور الاستعاذة هو «الشيطان الرجيم» فلذلك يؤخر. ٣. لأن الاستعاذة فعل العبد، بخلاف البسملة فهو يتبرك باسم الله لذلك هي ضرورية وتكتب في المصاحف. ٤. لأنها تحتوي على صفات سلبية (الشيطان) (الرجيم) وهذه يُراد زوالها وإبعادها. ٥. قيل أيضًا كي لا يستشعر بها العدو، حتى إن الإنسان إذا كان خاليًا وأراد القراءة يُسِر بها، حتى لا يقوى الشّيطان في نفسه.

فوائد الاستعاذة:

١- أنها استجابة لأمر الله.. لقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨]..

٢- من باب التخلية قبل التحلية.

٣- أنّها تعلمنا الالتجاء والاستعانة بالله.

٤- أن فيها الاعتراف لله بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز.

٥- أنها طهارة للفم وتهيئة لاستقبال كلام رب العالمين.

٦- أنها عنوان وإعلام بأن ما سيتلى هو قرآن.

٧- لا مطمع في زوال عداوته، فعداوته مستمرة في كل نفس، وغايته أن يخرجك بالكفر؛ فإن لم يستطع فإنه يأتيك من باب الشبهات، فإن لم ينفع ذلك، أمرك بالبدعة، أو المعصية، وإن لم يفلح فإنه يثبطك عن الطاعة، وإن قاومت وأتيت بالطاعة حاول أن يدخل الرياء في قلبك. وهكذا فمداخله كثيرة، ولا يتوقف إلا إذا ذكرت الله واستعذت بالله منه فإنه حينئذ يخنس.

النظرة التفصيلية للآيات

البسملة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

معناها:

البسملة معناها قول (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، أي أبدأ مستعينا بالله -تعالى- وبكل أسمائه الحسنى، (لأنّ اسم الله يشتمل على جميع الأسماء الحسنى؛ فعندما نقول (الله) فهذا يعني أننا ذكرنا الرّحمن، الرّحيم، الملك، القدّوس، العزيز، الحكيم...)، ولفظ «اسم» مفرد مضاف، يفيد عموم جميع أسماء الله الحسنى.

س/ ما دلالة حذف الفعل «أبدأ»؟

ج/ نقول: (بسم الله) ولا نقول: « أبدأ بسم الله»، وهذا يفيد الحصر، كما يفيد التبرك بتقديم اسم الله – الذي هو الاسم العلم على الذات الإلهية، وهو أصل كل الأسماء.

س/ ما دلالة حذف همزة الوصل عند كتابة «بسم»؟

ج/ كلمة «بسم» أصلها «باسم»، وحُذف منها همزة الوصل، وذلك في ثلاثة مواضع في القرآن:

١- في الفاتحة: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾.

٢- في سورة هود: ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾.

٣- وفي سورة النمل: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾.

من العلماء من قال إن همزة الوصل قد حذفت حتى لا يسبق اسم الله شيء، وحتى يكون الوصول إليه بأقصر الطرق.

* لكن جاءت كلمة «بسم» في مواضع أخرى مكتوبة بهمزة الوصل: في الواقعة مرتين، وفي الحاقة، وفي العلق، وجاءت في هذه المواضع بقصد التسبيح أو التلاوة، وهي أمور تحتاج إلى تفكر وتدبر وتأمل وتمهل، لذلك زِيدَت همزة الوصل.

ما فوائد البسملة؟

١- موطن يتقدم فيه ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لئلا يكون في القلب إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢- البدء باسم الله من الأدب والتبرك باسم الله.

٣- ذكر صفة الألوهية التي توحي بالقهر والقدرة.

٤- وذكر صفة الرحمة بعدها (الرحمن الرحيم) توحي بأن رحمته تعالى سبقت غضبه وقهره.

٥- «الرحمن» ذو رحمة واسعة تعم الخلق جميعًا، وهو اسم يدل على ذات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولا يُطلق على غير الله أبدًا، وهو أوسع الأسماء، وقد ورد هذا الاسم ١١٤ مرة في القرآن.

٦- «الرحيم» هو ذو الرحمة الواصلة لعباده.. و«الرحيم» صفة مستمدة من «الرحمن».. وهذه الرحمة خاصة بالمؤمنين.

س/ هل البسملة آية من الفاتحة؟

* هناك خلاف بين العلماء، فمنهم من يقول: إنها آية من الفاتحة، ويرى أن الصلاة لا تصح إلا بها.

* ومنهم من يقول: إنها ليست من الفاتحة، لأنه لم يرد عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قرأ بها في صلاته؛ فقد كان يسر بالاستعاذة والبسملة ثم يقرأ: (الحمد لله رب العالمين).

ولكل فريق أدلته.

النظرة التفصيلية

لطائف تدبرية من سورة الفاتحة

١ - الآية الأولى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

س/ ماذا تفيد الألف واللام في (الحمد)؟

ج/ الألف واللام تفيد استغراق جميع أنواع الحمد وصنوفه لله تعالى.

س/ ما معنى الحمد؟

ج/ «الحمد لله» هي وصف للمعبود بالكمال؛ بكمال الذات والأسماء والصفات والأفعال، الحمد يجمع أفضل صور الشكر، وأعم صور المدح، وأعم مقامات الثناء على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ فلا يليق أن يصرف إلا لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. والعبد لا يليق به إلا أن يفتتح خطابه لربه بالحمد والثناء.

س/ ما دلالة الجملة الاسمية؟ ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾

ج/ الجملة الاسمية تفيد الدوام والثبوت والاستقرار، فالحمد ثابت ومستقر لله -تعالى- وحده.

س/ ما وجوه حمده تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟

ج/ يُحمد -سبحانه- من جميع الوجوه، فله سبحانه من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها ومن الأفعال أتمها، نحمده على كمال ذاته وصفاته وأفعاله، نحمده أنه لا إله إلا هو الواحد الأحد لا شريك له في الملك، نحمده أنه هو الرب سبحانه، الحمد لله أنه مالك يوم الدين، الحمد لله أنه هو من سيحاسبنا يوم القيامة، نحمده على عطاءاته، التي من أجلّها نعمة الإيمان ونعمة القرآن، ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

فالحمد لله كما يحبّ ربّنا ويرضى حمدًا يليق بجلاله وعظمته وجبروته وكبريائه، حمدًا يبلّغنا به بيت الحمد في جنّته ويدخلنا فيه برحمته، الحمد لله غمرنا بالفضل والإحسان، فالحمد لله ربّ العالمين.

٢- الآية الثانية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣﴾

س/ ما الفرق بين اسمي الله «الرحمن» و «الرحيم»؟

ج/ **الرحمن:**

من أوسع الأسماء الحسنى، ويدل على الرحمة العامة التي تشمل الناس جميعًا؛ مؤمنهم وكافرهم.

وبهذه الرحمة العامة أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، ولم يترك خلقه دون دليل أو إرشاد.

* ورد اسم «الرحمن» في القرآن ١١٤ مرة.

الرحيم:

- يتعلق هذا الاسم بالرحمة الخاصة التي خص الله بها عباده المؤمنين.
- ورد هذا الاسم ٢٢٨ مرة في القرآن الكريم.

س/ لماذا ذكر هذين الاسمين بعد قوله تعالى «ربّ العالمين»؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

ج/ لأنّ ربوبيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مبنية على الرحمة الواصلة للخلق.

فلعل سائلًا يسأل: ما نوع هذه الربوبية؟ هل هي ربوبية أخذ وانتقام أم ربوبية رحمة وإنعام؟

الجواب: بل هي ربوبية رحمة وإنعام، لمجيء هذين الاسمين الكريمين بعد اسم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

٣- الآية الثالثة: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ لها قراءتان (مالك) و(ملك).

س/ ما الفرق بين «مالك» و «ملِك»؟

ج/ معناها أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى اتصف بصفتي المُلك والمِلك؛ ففيها تمجيد لله وإفراده بالمُلك والمِلك، هو مالك وملك يوم الدين.

والمَلِك أعمُّ من المالك، إذْ ليس كلُّ مالك يَنْفذ أمرُه وتصرُّفه فيما يملكه، أما الملك فيأمر وينهى ويثيب ويعاقب ويتصرف في جميع ملكه، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]. وكلمة «**مالك**» فيها إثبات للبعث، فمهما كان الإنسان يملك في هذه الدنيا فإن ملكه عائد إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، يومًا ما سيترك ما معه وما يملك، بل إن ملكيته في هذه الدنيا ليست ملكية تامة.

س/ لماذا قدم الرحمة على يوم الدين؟

ج/ لأنّ الرّحمة فضل من الله والجزاء (يوم الدين) عدل، وفضل الله سابق لعدله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ لماذا ذكر الله تعالى في صفة الرحمة اسمين ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وبينما ذكر للتهديد اسما واحدا؛ الملك ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾؟

ج/ ليبين أن رحمته تعالى أوسع وأقرب هو الرحمن الرحيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

س/ لماذا سمي يوم القيامة بيوم الدين؟

ج/ - لأنه في هذا اليوم يدين الله الناس بأعمالهم ويجازيهم على كل ما عملوا (يوم الجزاء والحساب)، والكل يومئذ خاضع لله، لعزته وجلاله، وظهور عظمته وملكه وملكوته وسلطانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

- وفي هذا تذكرة وحث على الاستعداد لهذا اليوم.

- فيها كذلك إثبات للنبوة؛ إذ كيف يحاسبك دون أن يرسل لك رسولًا أو ينزل لك كتابا؟

* إذن ففي هذه الآية إثبات للنبوة وإثبات للبعث.

س/لماذا قال «مالك يوم الدين» ولم يقل «مالك الأولى والآخرة»؟

ج/ لأنّه قد ذهب ملوك الدنيا ولم يبق إلا الملك؛ فمالك يوم الدين هو الله الواحد القهار.

٤- الآية الرابعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

هذه آية العبودية، وهي محور السّورة، فالآيات التي قبلها مقدّمة لها (الحمد والثناء)، وما بعدها خاتمة (سؤال ودعاء).

هي عهد بين العبد وربه، وإقرار من العبد بعبوديته لله تعالى، يتكرر في كل يوم وفي كل وقت، لنضعه دوما نصب أعيننا ونحرص على الوفاء به.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هذه لله

- ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هذه للعبد.

س/ لماذا كرر «إياك»؟

ج/ (إياك) ضمير فصل.

التّكرار للتأّكيد على عبادته وحده وطلب العون منه وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فكرّر (إيّاك) للتّأكيد على كلّ أمر منهم على حدة.

س/ لماذا قدم «إياك» في كلا الموضعين؟

ج/ للحصر والاختصاص؛ أي حصر العبادة والاستعانة على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وهنا قاعدة: تقديم ما يجوز تأخيره يفيد الحصر والاختصاص.

س/ كيف جمعت هذه الآية بين الغاية والوسيلة؟

ج/ - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي الغاية و﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ هي الوسيلة.

إياك نعبد هي الغاية التي خلق من أجلها الخلق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإياك نستعين هي الوسيلة؛ تستعين على العبادة بالله.

- قال ابن تيمية عن هذه الآية:

«علم القرآن جُمع في الفاتحة، وعلم الفاتحة في هذين الأصلين ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ عبادة الله والتوكل عليه».

- وقال تلميذه ابن القيم: «سر الخلق والأمر والكتب والشرائع والثواب والعقاب انتهى الى هاتين الكلمتين، وعليهما مدار العبودية والتوحيد».

لن تغلبك الدنيا وأنت تملك قلبًا يعاهد الله صباحًا ومساءً بقولك: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، فهذا من أجمع الأدعية وأنفعها.

س/ما معنى العبادة؟

ج/ العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة: (خوف، توكل، رجاء، استعانة، استغاثة.....)

- والعبادة بمعناها الشامل: هي غاية الحب مع غاية الذل والخضوع لله تعالى.

س/ لماذا حُصرت العبادة لله وحده؟

ج/ العبادة هي أعلى مراتب الخضوع، ولا يجوز فعلها شرعًا ولا عقلًا إلا لله ﷻ.

- لأنه المستحق لذلك فهو واهب الحياة وواهب النعم وواهب الوجود.

وهذا كما جاء في الحديث القدسي.

س/ لماذا جاءت الاستعانة مطلقة؟

ج/ قال الشوكاني:

«لقصد التعميم» أي لإفادة عموم الاستعانة بالله في كل الأمور.

س/ ما سرّ الالتفات من الغيبة إلى الخطاب؟

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ بعد أن كان يقول:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾.

كان الكلام بالغيبة ثم التفت إلى الخطاب.

الحامد لما حمد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ووصفه بعظيم الصفات بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخاطب ربه بالإقبال.

ولذلك يَخْلُصْ الكلام من الثناء إلى الدعاء والدعاء يقتضي الخطاب.

س/ لماذا قَرَنَ العبادة بالاستعانة؟

ج/ لما كانت العبادة لا تتحقق إلا بعون الله وتوفيقه جاءت (وإياك نستعين)، لإعلان التبرؤ من الحول والطول والقوة، وإقرار من العبد بعجزه، وفيها الثقة بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والتّوكل والاعتماد عليه.

فوالله لولا إعانة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتوفيقه ما ركع العبد ركعة ولا سجد ولا مشى خطوة إلى الله تعالى.

س/ هذه الآية تخلص العبد من الرياء والكبر، بين ذلك.

* إيّاك نعبد: خلوص من الرّياء.
* إيّاك نستعين: خلوص من الكبر والعجب والغرور.

س/ ما مدى خطورة الرياء على العمل؟

ج/ قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا لم تخلص فلا تتعب».

فإن لم تخلص لله لا تتعب نفسك بهذه الأعمال؛ عملك مردود عليك.

ولننتبه! فهذا الرياء يدخل في كل شيء: في القول والفعل، في الصلاة، في قراءة القرآن، لأن النفس البشرية تحب الظهور والمحمدة والثناء من الناس، وتريد أن يراها الناس على أفضل حال وهذا أمر خطير يُفقد عملك الإخلاص ويذهب به.

فالإخلاص هو شرط من شرطي قبول العبادة.

والشّرط الثّاني هو المتابعة للنّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

لذلك لابدّ أن يتساوى عملك في السّرّ والعلن؛ لأنّه عمل لله، وهو الّذي يعطي الثّواب والأجر.

س/ ما مدى خطورة الكبر على العمل؟

- عندما تقول (وإياك نستعين) تعترف أنك ضعيف، تقول: يا رب لا أستطيع فعل شيء إلا بأمرك وبعونك، وهذا يخلّصك من الكِبر.

وأمر الكبر خطير، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ أحَدٌ في قَلْبِهِ مِثْقالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِن كِبْرِياءَ**» رواه مسلم.

الإنسان يتكبر بماله، بجماله؛ بعلمه، بنسبه، بمكانته، لماذا تتكّبر أيّها الإنسان؟ من الذي أعطاك هذا العلم؟ من الذي أعطاك هذا المال؟ من الذي خلقك في أحسن صورة؟ أليس ربّ العالمين؟ إذن هو فضل منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عليك، فلتشكر.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أراد السّعادة الأبدية فليلزم عتبة العبودية».

كن عبدًا لله، اعبد الله ولا تنظر إلى البشر؛ لأنّ العبادة متعلّقة بمحبّته، ورضاه ﷻ.

كن مع الله في القول وفي الفعل الظّاهر والباطن.

- نريد أن نستشعر هذه المعاني، ونحن نقف بين يدي الله في الصلاة.

كم مرة قرأت الفاتحة ورأسك تضجّ بالأفكار؟! نسأل الله العفو والهداية.

س/ لماذا قدم العبودية على الاستعانة؟

ج/ ١- لأنّ العبودية متعلقة باسم الله (توحيد الألوهية)، أما الاستعانة (توحيد ربوبية) كما هو في أول السورة (الحمد لله رب العالمين) فقدم الألوهية على الربوبية.

٢- لأنّ العبودية متعلقة بمحبة الله ورضاه سبحانه وتعالى وهذا أكمل، لكن الاستعانة متعلقة بمشيئة الله؛ إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل.

٣- من باب تقديم المقاصد وهو «العبادة» على الوسائل وهو «الاستعانة».

٤- لأنّ العبادة المطلقة تتضمن الاستعانة من غير عكس.

- فقدم المطلق على الخصوص وهذا من باب عطف الخاص (الاستعانة) على العام (العبادة).

٥- لأنّ العبادة أكمل وأتم، والاستعانة جزء من العبادة.

٦- من باب تقديم حق الله (العبادة) على حق العبد (الاستعانة).

٧- العبادة تقرب للخالق فهي أجدر بالتقديم، أما الاستعانة فهي لنفع المخلوق.

٨- لأنّ العبادة لا تكون ولا تُقبل إلا من مخلص، وأما الاستعانة فتكون من مخلص ومن غير مخلص.

س/ لماذا جاءت بالجمع؟

﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

- للإشعار بأن الصلاة بُنيت على الاجتماع.
- فيها خروج من تعظيم النفس إلى التواضع، فلا تغتر بعملك؛ لأن هناك من هو أفضل منك في العبادة.

- تشعرك أنك فرد من المجموعة.
- فيها نوع من الاعتصام بحبل الله والاجتماع وعدم الفُرقة.

٥- الآية الخامسة: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

س/ ما هو أجلّ المطالب؟

ج/ الهداية.

س/ لماذا نطلب الهداية ونحن موحدون؟

ج/ ١- لأن المجهول لنا من الحق أضعاف ما نعلمه؛ ووجب علينا أن يهدينا إلى هذا الحق كله.

٢- ما نعرفه جملة ولا نهتدي لتفاصيله وفروعه، أمر يفوق الحصر.

٣- لأننا نحتاج للهداية التامة؛ فمن كملت له هذه الأمور كان سؤال الهداية له تثبيت وزيادة.

٤- لأن هناك شبهات وشهوات تعرقل المسير فنطلب الهداية، أن يهدينا إلى سواء السبيل والصواب ويبعدنا عن الشبهات والشهوات.

٥- لأننا نريد الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة.

٦- ما لا نريد فعله تهاونًا وكسلًا أكثر مما نريده أو أقل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

س/ ما معنى الصراط المستقيم؟

ج/ هو لزوم دين الإسلام علمًا وعملًا..وهذا من أجمع الأدعية وأنفعها للعبد!

س/ ما صفات الطريق المستقيم؟

ج/ ابن القيم قال في كتابه «مدارج السالكين»: لا يكون الطريق صراطًا حتى تتضمن فيه خمسة أمور:

١- الاستقامة؛ ووصفه بالاستقامة يتضمن أنه قريب

٢- الإيصال إلى المقصود؛ (وهو رضا الله والجنة)

٣- القرب؛ لأنه قصير ومستقيم.

٤- سعته للمارين عليه.

٥- تعيينه طريقًا للمقصود.

قال ابن القيّم : «وذكر الصراط مفردًا معرفًا بالألف واللام وبالإضافة، وذلك يفيد تعيينه واختصاصه.

وجاء بالمفرد؛ فهو صراط واحد.

وهو مستقيم؛ لا اعوجاج فيه ولا انحراف، طريق واضح. وهو أقرب الطرق إلى الله. وهذا يدل على أنه طريق أهل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أهله الذين أنعم الله عليهم؛ وهذا يفيد العناية به من جهات كثيرة.

٦- **الآية السادسة:** ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾.

س/ لماذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ أضاف النعمة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ولم يقل: غضبت عليهم؟

ج/ (أنعمت عليهم):

١- تفيد التأدب مع الله حيث ينسب النعمة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٢- أضاف إلى نفسه أكمل الأمرين وأسبقهما.

٣- ولأن رحمته سبقت غضبه.

٤- وأيضًا لأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ متفرد بالنعم، فأضيف إليه ما هو متفرد به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

٥- كما يفيد الفعل الماضي تحقق وقوع النعمة للمؤمن.

أمّا «المغضوب عليهم» فهذا اسم يفيد ثبوت الغضب عليهم سلفًا، لإنكارهم الحق مع علمهم به، وأيضًا فيه إهانة وتحقير للمغضوب عليهم.

س/ من هم المنعم عليهم؟

ج/ الذين أنعم الله عليهم هم المذكورون في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩].

س/ ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ من هم المغضوب عليهم؟

ج/ هم اليهود ومن على شاكلتهم، ومن سار على نهجهم، لأنهم يعلمون الحق ولا يعملون به..

س/ ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ من هم الضالون؟

ج/ هم النصارى ومن على شاكلتهم، لأنهم عملوا بغير علم.

فالأجر يكون على العمل بالعلم، وليس على أحدهما دون الآخر.

* أما المنعم عليهم فجمعوا بين علم نافع وعمل صالح.

أخي القارئ، عندما تقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ في الصلاة، وتقرأ: (اهدنا الصراط المستقيم)، هذا الوقت من كنوز الأوقات، هذا الوقت الذي يجيب فيه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الدعوات، ويكشف الكربات ويقبل التوبات، ويقيل العثرات، ويغفر الزلات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويعطي السائلين.

- هل بعد هذا نُضَيِّعْ هذا الكنز في غفلة وأفكار تأتي من يمين وشمال؟
- سلم نفسك لله متذللًا لعظمته، مطمئنًا في نفسك والجأ إليه رغبة ورهبة.

- قلب المؤمن عاكف على ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى والثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، ودائم التوبة والاستغفار، يجد أنسه بتلاوة القرآن، يرى سكينته وراحته في مناجاة الرحمن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

عندما تقرأ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ فاعلم أنّك تطلب أجلّ المطالب.

- يقول الفُضيل بن عياض: «أعلم الناس بالله أخوفهم منه».
- ويقول أيضًا: «رهبة العبد من الله على قدر علمه بالله».
- ويقول ابن القيم: «من كان بالله أعرف فهو له أخشع».

س/ لماذا نتدبر الفاتحة؟

ج/ من أجل أن نُصلح صلاتنا.

- فهي أعظم الأعمال؛ فالعبد يقف بين يدي الله في سكينة وخشوع متذلل خافض الرأس ناظر إلى موضع السجود.
- أرفع مقامات الذل والافتقار إلى الله أن يطأطئ العبد رأسه ويخر ساجدًا لله.
- أما القلب الجامد فلا يتأثر بالموعظة؛ فهو كالصخرة الصماء.

* ولهذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن عين لا تدمع**».

من فوائد السورة

١- إثبات الحمد الكامل لله عَزَّوَجَلَّ.

٢- أن الله تعالى مستحق ومختص بالحمد الكامل من جميع الوجوه.

٣- تقديم صفة الألوهية على صفة الربوبية، لأن المشركين ينكرون الألوهية دون الربوبية.

٤- عموم ربوبية الله تعالى لجميع العالمين.

٥- إثبات أسماء الله الحسنى (الله، الرب، الرحمن، الرحيم، مالك، ملك).

٦- ربوبية الله تعالى قائمة على رحمته الواسعة.

٧- إثبات ملك الله وملكوته يوم الدين.

٨- إثبات البعث والجزاء في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

٩- حث الإنسان على أن يعمل لذلك اليوم.

١٠- إخلاص العبادة لله وحده (إياك نعبد)

١١- الاستعانة بالله وحده (وإياك نستعين)

١٢- أجل المطالب هي (اهدنا الصراط المستقيم).

١٣- هناك صراط مستقيم وآخر معوج.

١٤- التفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين...).

١٥- إسناد النعمة لله وحده.

١٦- انقسام الناس إلى ثلاثة أقسام: •أنعمت عليهم. •المغضوب عليهم. •الضّالين.

العمل بسورة الفاتحة

أعمال قلبية

- دوام الحمد والثناء والتعظيم لله
- تحقيق العبودية الخالصة لله
- حسن التوكل على الله مع الأخذ بالأسباب
- التخلص من الرياء
- التخلص من الكبر

أعمال الجوارح

- ابدأ أعمالك بسم الله
- الالتزام بآداب الدعاء (حمد وثناء وتعظيم) وصلاة على النبي ﷺ والاعتراف بالذنوب وطلب رضاه وعفوه والهداية ثم الصلاة على النبي ﷺ
- المحافظة على الصلاة والصوم والزكاة وغيرها من العبادات
- الاستعداد ليوم الجزاء
- مصاحبة أهل الصلاح والاقتداء بالنبي ﷺ
- قراءة تفسيرها وتدبرها وتعلمها وتعليمها للغير

الخَاتِمَة

هذه السّورة العظيمة لا تنتهي عجائبها ولا تمل من الحديث عنها، هي أعظم سورة في كتاب الله.

- الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ خاطب فيها الجن والإنس من لدن آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

- فإن كانت هذه السورة بهذه المثابة العظيمة ونقرؤها في اليوم والليلة ما لا يقل عن سبع عشرة مرة فلا عجب أن يهتم بها العلماء قديمًا وحديثًا، لكن العجب كل العجب ممن يقرأها ولا يفهمها ولا يتدبرها ولا يستحضر قلبه عند قراءتها أو النظر في معانيها.

أما وقد أنهينا بفضل الله تدبر سورة الفاتحة.. كيف ستقرؤها بعد ذلك؟

كيف ستقف بين يدي الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ ؟

* أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أن يجعلني وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

ولله الحمد والمنة ما ختم جهد إلا بعونه؛ وما تم سعي إلا بفضله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. فالحمد لله، الحمد لله عدد ما أحصى كتابه والحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا ووسع كل شيء حفظًا، الحمد لله على حلمه بعد علمه، الحمد لله على عفوه بعد قدرته، يا فعّالًا لما يريد، يا ذا العرش المجيد، يا خير الغافرين يا خير الرازقين يا خير المنعمين يا أحكم الحاكمين يا أرحم الراحمين، حق أنت أن تعبد وحق أنت أن تُحمد، لك الحمد أكمله، ولك الثناء أجمله ولك القول أبلغه، ولك العلم أحكمه ولك الجلال أعظمه، يا من أظهر الجميل وستر القبيح، يا عظيم الصفح يا عظيم المنّ، يا أحق من ذُكر، وأحق من عُبد وأرأف من ملك، وأجود من سُئل، أنت الملك لا شريك لك، والفرد لا ند لك، كل شيء هالك إلا وجهك، لن تُطاع إلا بإذنك ولن تُعصى إلا بعلمك، تُطاع فتشكر! وتُعصى فتغفر!.

تمّ نورك يا الله! تم نورك يا الله!، بسطت يدك فأعطيت فلك الحمد، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش الكريم.

الحمد لله على تمام المنة، الحمد لله على الكتاب والسنة، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

* وأسأل الله أن يجعل هذا العمل في موازين حسناتنا وحسناتكم جميعًا وأن يجعله حجة لنا لا علينا وزادًا ونورًا إلى حسن المصير إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. أسأل الله أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يغفر لي ما كان فيه من خطأ أو نسيان، وأن يقبل منا ومنكم صالح الأعمال.

* أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

المؤلفة

آمال محمد علي

شكر وتقدير

قال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

تتسابق الكلمات وتتزاحم العبارات لتنظم عقد الشكر والتقدير:

- إلى الذين يشاركون في الخير دون انتظار الرد.
- إلى الذين كانوا عونًا ورفاقًا.

يقول ابن المبارك: «**لا أعلم بعد النبوة درجة أفضل من بث العلم**».

- إلى معلمات الناس الخير... شكري وتقديري لكل ما قدمتن من تفريغ هذه المحاضرات وكتابتها وتنسيقها ومراجعتها.

الأستاذة/ أسماء عبد اللطيف - مريم نادر - جميلة سعيد - إيمان علي - مريم الهاشمي - أميمة ثابت - منال كامل - سميرة جكار - ليلى مخصاص - شيماء بغدادي - زينة جزولي - حياة مولود - سهام عجيسي - شيراز بوخالفة - مروة قطان - ماجدة عبد الحكم - زهرة خولاني.

دعواتي لكم بالقبول وأن يكون هذا العمل زادًا إلى حسن المصير إليه سبحانه.

المؤلفة

آمال محمد علي

المَراجع

القرآن الكريم.
أحكام القرآن (لابن العربي) ٤٦٨ ٥٤٣ هـ، تحقيق: محمّد عبد القادر عطا.
أضواء البيان في إيضاح القرآن (محمد الأمين محمد مختار الشنقيطي)
إعراب القرآن و بيانه (محيي الدّين الدّرويش)، الطبعة الحادية عشر.
التّسهيل لتأويل التّنزيل (مصطفى العدوي) في سؤال وجواب.
التّسهيل لعلوم التّنزيل (لابن جزي الكلبي الغرناطي)، تحقيق رضا فرج الهمامي.
التّفسير القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي.
الجامع لأحكام القرآن (للقرطبي)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.
القرآن تدبر و عمل (مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي)، الطبعة الثامنة.
أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (لأبي بكر الجزائري) ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٦ م.
بلاغة الكلمة في التعبير القرآني (د. فاضل السمرائي).
تفسير القرآن الكريم (لابن عثيمين)،دار ابن الجوزي.
تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان (للسّعدي)، طبعة ٢٠٠١ م.
جامع البيان في تأويل آي القرآن (للطبري).
عمدة التّفسير (ابن كثير) اختصار و تحقيق أحمد شاكر (٢٠٠٧ م).
فتح الباري بشرح صحيح البخاري (لابن حجر العسقلاني)، طبعة دارطيبة.
قواعد تدبر القرآن (عقيل سالم الشمري) ١٤٣٧هـ.
لمسات بيانية (د. فاضل السمرائي).
مباحث في علوم القرآن (مناع القطان)، الطبعة الرابعة عشر.
مدارك التّنزيل وحقائق التّأويل (للنسفي) تحقيق: يوسف علي بدوي، محي الدين ديب.
معترك الأقران (للسيوطي).
القواعد القرآنية (لعمر المقبل).
القواعد والأصول في علم التفسير للشيخ (وليد راشد السعيدان).
موقع الدرر السنية (علوي عبد القادر السقاف).
موقع إسلام ويب (الشيخ صالح المنجد).

مُحتويات الكِتاب

الفَهرس

الرّقم	القاعدة	الصّحفة
١	المقدّمة	٥
٢	وجوه إعجاز القرآن	١٤
٣	التدبر وأقوال العلماء	١٥
٤	قاعدة: الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار	٣٦
٥	قاعدة: التّنوين	٤١
٦	قاعدة: صلة الموصول تفيد الاهتمام ولفت الانتباه والعلة	٤٣
٧	قاعدة: الجملة الاسميّة تفيد الثبوت والاستقرار	٤٧
٨	قاعدة: حذف المعمول يفيد العموم	٤٩
٩	قاعدة: الحرف المشدّد	٥٢
١٠	قاعدة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى غالبًا	٥٤
١١	قاعدة: حذف جواب الشّرط	٥٨
١٢	قاعدة: النّكرة في سياق النّهي أو النّفي أو الشّرط أو الاستفهام تفيد العموم	٦٠
١٣	قاعدة: العبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب	٦٤
١٤	قاعدة: الأمر بالشّيء نهي عن ضدّه والنهي عن الشيء أمر بضده	٦٧
١٥	قاعدة: تكرار المعرفة والنّكرة	٧١
١٦	قاعدة: ختم الآيات بأسماء الله الحسنى	٧٣
١٧	قاعدة: التّعبير عن المستقبل بصيغة الماضي يفيد تحقق الوقوع	٧٥
١٨	قاعدة: عطف الخاص على العام	٧٧
١٩	قاعدة: تقديم ما يجوز تأخيره	٧٨
٢٠	قاعدة: القسم	٨١
٢١	قاعدة: الاستفهام	٨٦
٢٢	قاعدة: الألف واللّام الدّاخلة على الأوصاف وأسماء الأجناس	٩٣

الرّقم	القاعدة	الصّحفة
٢٣	قاعدة: المحترزات	٩٥
٢٤	قاعدة: (المنع من الأمر المباح إذا كان يفضي إلى محرم أو ترك واجب)	٩٧
٢٥	قاعدة: فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون	٩٨
٢٦	قاعدة: النداء في القرآن	١٠٢
٢٧	قاعدة: ألفاظ العموم	١١٠
٢٨	قاعدة: (الأصل في الكلام البقاء على ظاهره إلا بدليل)	١١٣
٢٩	قاعدة: (الأصل في الضمائر رجوعها إلى أقرب مذكور إلا بقرينة)	١١٧
٣٠	قاعدة: (ليس من شرط العمل بالمنقول العِلم بحكمته)	١٢٤
٣١	قاعدة: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا)	١٢٨
٣٢	قاعدة: (حروف الاستقبال في القرآن تفيد حصول الأمر في المستقبل)	١٣١
٣٣	قاعدة: (من وجوه إعجاز القرآن مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني)	١٣٥
٣٤	مقدمة عن سورة الفاتحة	١٤٥
٣٥	نظرة شاملة عن سورة الفاتحة	١٤٨
٣٦	فضل سورة الفاتحة	١٥٠
٣٧	أسماء سورة الفاتحة	١٥٤
٣٨	لماذا هي أعظم سورة؟	١٥٨
٣٩	لطائفة تدبرية من الفاتحة	١٧٢
٤٠	فوائد السورة والعمل بها	١٨٤-١٨٥
٤١	الخاتمة	١٨٦
٤٢	شكر وتقدير	١٨٨
٤٣	المراجع	١٨٩
٤٤	الفهرس	١٩١

تم بحمد الله